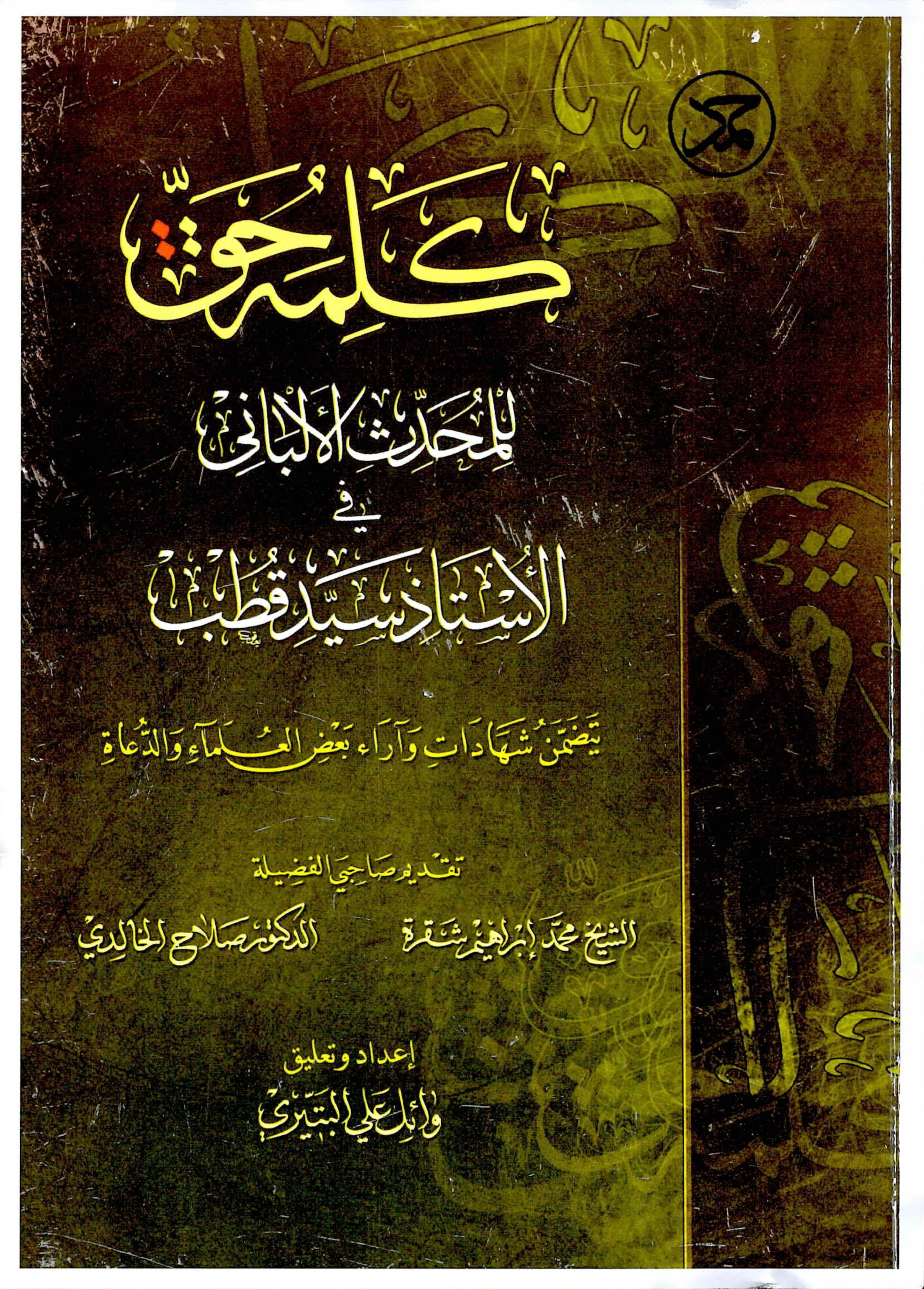

كلمة حق
للمحدث الألباني
في
الأستاذ سيد قطب
تتضمن شهادات وآراء بعض العلماء والدعاة
تقديم صاحبي الفضيلة
الشيخ محمد إبراهيم شقرة
الدكتور صلاح الخالدي
إعداد وتعليق
وائل علي البتيري

١٥٠٠

كلمة حق
للمحدث الألباني
في الأستاذ سيد قطب

يتضمن آراء وشهادات بعض العلماء والدعاة

تقديم صاحبي الفضيلة

الوالد الشيخ محمد إبراهيم شقرة

الدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي

إعداد وتعليق

وائل علي البتيري

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر
(٢٠٠٤/١٢/٢٨١٦)

٢١٥,٢

البتيري ، وائل علي

كلمة حق للمحدث الألباني في الأستاذ سيد قطب :
يتضمن آراء وشهادات بعض العلماء والدعاة/وائل علي
البتيري . ــ عمان : المؤلف ، ٢٠٠٥ .
(١٢٨) ص . ــ (اعدلوا هو أقرب للتقوى ؛ ٢)
ر.إ. : (٢٠٠٤/١٢/٢٨٣٥)
الواصفات :/الوعظ والإرشاد//الإسلام//الدعوة الإسلامية/

* تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م

مكتبة البراق ـ الزرقاء

bonyanm@yahoo.com

تقديم فضيلة الشيخ
محمد إبراهيم شقرة

الحمد لله وكفى، وسلام وصلاة على عباده الذين اصطفى، أما بعد:

[نعمة الإيمان أجلُّ النعم]

فإنَّ من أجلِّ النّعم على العبد المسلم أن يعلمَ من نفسه أنَّه مؤمن، وأنَّه لا يأتي عملاً أو قولاً، ولا يدَع عملاً أو قولاً، إلا أن يكون موافقاً لمقتضى إيمانه هذا، فيحبّه، ثمّ يرى أنَّ من حقّ إيمانه عليه أن لا يدَع ما يربيه من صالحِ القول والعمل، وأن يعرضَ عن كلِّ قولٍ وعملٍ ينقص من إيمانه ذاك، وما أجملَ أن نحفظَ من أقوال المصطفى صلوات الله وسلامه عليه حديثين، لنجعل منهما الميزان الضابط في وزن أعمالنا وأقوالنا، الأول: قوله عليه السلام: «مَن سرَّته حسنته، وساءَته سيِّئته فهو مؤمن»، والثاني: قوله عليه السلام: «لا يؤمنُ أحدُكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه».

[أحبَّ لأخيك ما تحبُّ لنفسك]

ومِن أظهر علامات الإيمان أن يحبّ المؤمنُ لإخوانه المومنين ما يحبّ لنفسه، فإنْ أنتَ التمستَ هذا فلم تجده في نفسك، فاعلَمْ أنَّ في إيمانك شوباً من زيفٍ، فأسرِعْ إلى

إزالته، فإن لم تجدْ في نفسكَ رغبةً في إزالته، فأنت امرؤُ سوءٍ ـ عياذاً بالله ـ لا يُرجى لك الخير، إلا بتوبةٍ جهيرٍ يعرفها منكَ النّاسُ إن كانت لا تصلح ولا تكون إلا بالجهر بها، فإن كانت منك توبةٌ منها في مُسارَّةٍ فهي توبة خداجٌ، تحتاج توبةً أُخرى في مُعالَنَةٍ منك لتتمّ لك.

[لم يُسبَق إلى أسلوب سيد في تاريخ العربية]

وكم كانَ سروري عظيماً، وأنا أستمع إلى ما كان يُلقيه على سمعي ابننا الطيِّب السيّد وائل البتيري من كلامٍ مُعْجب، يكاد يبلغ مقام الإعجاز من كلام العرب قديماً وحديثاً، فقد عرفَت الأمة أُسلوبَ ذلك الرَّجل الفذّ في كلِّ ما قدَّم لها وخلَّف من ورائه من عملٍ قلميٍّ علميٍّ، لم يُسبق في تاريخ العربية، ذلك الرجل؛ هو الشهيد المبارك ـ الذي وقفَ سدّاً منيعاً أمام الطاغوت، ولم يعبأْ ببطشه، وظلمه، وجبروته، فأنالَهُ اللهُ عزَّ الدنيا، وفخرَ الآخرة، أنالَهُ الشهادة، وتعلَّمها النّاسُ منه حيّاً وميتاً ـ إنَّه سيِّد قطب، رضيَ الله عنه وأرضاه.

[كتاب «مقومات التصور . .» أعظم كتب التوحيد]

كانَ يُلقيه عليَّ من كتاب سيِّد ـ رحمه الله ـ «مقوّمات التصوّر الإسلامي»، وهذا الكتاب صدرَ من بعد موته رحمه الله، لو قلتُ: إنّ كتب التوحيد التي ألَّفها واضعوها من قبل،

ينبغي أن تُقبلَ عليه، وتؤول إليه، في أدبٍ جمٍّ، واعترافٍ غامر، أنّه أنبَلُها، وأعظمها قدراً، وأوفاها، وأسهلها، لما عدوتُ الحقَّ إن شاءَ الله.

ففي الصفحتين (١٩٦ ـ ١٩٧) من هذا الكتاب ـ وهو من آخر ما كتبه وأبقاه للمسلمين وللنّاس كافّة من بعده ـ يقول سيد الشهيد ـ بأسلوبه الفذّ الرشيق الأخّاذ، الذي تصعب مضاهاته، والجري معه في مضمارٍ واحد ـ: «والآن فلنخطُ الخطوةَ الأولى في التعريف بحقيقة الأُلوهيّة في المنهج القرآني:

إنّ التعريف بالله ـ سبحانه ـ في هذا المنهج يبدأ من نَبْذ كلّ ما تصوّره «الفكر البشري» أو يتصوّره ـ من عند نفسه ـ عن ذات الله ـ سبحانه ـ وخصائصه، وصفاته وأفعاله، وكيفيّات أفعاله، وكيفيّات تعلُّق مشيئته بالحوادث..

إنّ «الله» ـ سبحانه ـ في التصوّر الإسلامي ليس من «صنع» البشر ـ كما يدّعي الماديّون والداروينيّون وبعض علماء الأديان المقارنة وعلماء الاجتماع، وعلماء النفس، والفلاسفة ! ليس من صنع أوضاع البشر الاجتماعية أو السياسية أو الاقتصادية ! وليس مِن صُنع تصوّراتهم وأوهامهم النابعة من تركيبهم النفسيّ ! أو من بدائيّتهم وجهلهم وعجزهم عن مواجهة ظواهر الكون الطبيعية أو عجزهم عن تفسيرها !

إنّ هذه الملابسات كلّها يمكن أن تصنع «الآلهة» الزائفة في الجاهليات المتعدّدة - ومنها جاهلية «الجهل المثقف» الذي تزاوله الحضارات الحديثة - كما يعبّر «ول ديورانت» عن الواقع ! ولكنّها ليست هي التي صنعت «الله» سبحانه، إله العقيدة الإسلامية الصحيحة. وكلّ خَلْطٍ بين الديانات البدائية الجاهلية - التي نشأتْ من الانحراف عن العقيدة التي أرسلَ اللهُ بها الرسل كافّة - وبين العقيدة الإسلامية، هو تضليلٌ متعمَّد وتلبيسٌ مقصود، لحمل المطاعن التي توجَّه إلى التصورات الجاهلية، وإلقائها كذلك على العقيدة الإسلامية ! وهذه لا تلتقي مع تلك، لا في مصدر ولا في طبيعة.

إنّ معرفة الله - سبحانه - في التصور الإسلامي تبدأ من نبذ كلّ الصور التي انبثقَت ابتداءً من تصورات البشر وأوهامهم عن ذات الله - سبحانه - وصفاته، لتستقي مباشرة من تعريف الله لعباده بذاته وصفاته، وخصائصه وأفعاله، وهي تُتلقّى من هذا المصدر وحده، ولا تتلقّى من مصدرٍ آخر غيره، ذلك أنّه ليس لدى البشر مما يعرفونه شيءٌ مثله - سبحانه - يعرفونه على مثاله، أو يقيسونه عليه، ويقيسون أفعاله بأفعاله، أو يقيسون كيفيّات أفعاله بكيفيّات أفعاله.. والفكر البشري يعتمد على ما يعرف، فما لم يتلقّ في هذا الشأن الخطير من المصدر الرباني وحده، كان عرضة لأن

يتلبس بالصورة التي يكوّنها - من عند نفسه - شوائب مما يعرف من الأشياء والأحوال.. والله - سبحانه - ليس كمثله شيء مما خلق على الإطلاق، ولا يملك الخيال البشري - مهما اجتهد - أن يعثر على شبيهٍ له في صورةٍ أو حال.

﴿ليس كمثله شيء﴾ (الشورى: ١١)، ﴿ولله المثل الأعلى﴾ (النحل: ٦٠)، ﴿فلا تضربوا لله الأمثال﴾ (النحل: ٧٤)، ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوهُ بها وذرُوا الذينَ يُلحدون في أسمائه﴾ (الأعراف: ١٨٠).

وبتحكيم هذه النصوص الجازمة تسقط كلّ التصوّرات التي جاءت بها الوثنيات، والتي جاءت بها الفلسفات - بما فيها تلك التي تُسمى «الفلسفة الإسلامية» -...».

[استغلال السُّفهاء بعض الإطلاقات الأدبيّة لسيد]

وبمثل هذا العرض السّهل والاستنباط المحكم، تتجلَّى حقيقة الألوهيّة، وتسَّاقط جميع الوثنيات الواهمة السخيفة، ويُعرّف سيد رحمه الله بنفسه إزاءَ الفهم الواضح، والقدرة الذهنية الباهرة لحقيقة الألوهيّة، التي عصفَ بها نفرٌ من الحاقدين السّفهاء الذين لا يفرّقون بين الشرك الأسود، وبين التوحيد الناصع البياض، حين عمدوا إلى بعض الإطلاقات اللّفظيّة الأدبيّة، التي يمتدّ بها نفَس سيِّد - لأنَّه سيِّد - في أسلوبه الفذّ الأخّاذ، ولست أغضّ من

فهم أولئك السُّفهاء، بل أقول: إنَّهم يفرّقون بفهومهم في لُجَّة أسلوبه رحمه الله، فتُسَدُّ فيها منافذ الاتصال المعرفيِّ، ولا يعودونَ يرونَ أو يسمعون، حينئذٍ حسنٌ أن يقفوا عند قوله سبحانه، مكتفين به: ﴿ولا تقفُ ما ليسَ لكَ به علمٌ﴾.

ولا أدري هل يمكن لهؤلاء السُّفهاء - بعد أن يقرءُوا هذه القطعة الرائقة الناصعة من كلام سيِّد - أن يعودوا عن ظُلمهم الذي أوقروا به خفافَ مطاياهم، وأطلقوها ترعى في أرض حمئةٍ شائكة، ويستغفروا لأنفسهم ولسيِّد، أم أنَّ ظلمهم هذا لا يَجدُ نفاذاً إلى كهف الحقّ، فيبصر بشيءٍ منه، يعود به على نفسه، يتخفَّف من ثقلِ سواده؟!

يبدو لي أنَّ القومَ يُمعنونَ في زيادةٍ بظلم، يغشون به أدب سيِّد، وعلمَه، وشهادته، يحسبونَ أنْ بعُريِّهم من الخلُق، والعلم، والتقوى، صاروا على شيءٍ من الصواب، ألا - واللهِ - ساءَ ما يحسبون.

وأحسبُ أن أقفيةَ هؤلاءِ القوم صارَت هي وجوهُهم، وأنّ عقولَهم ساخَت فصارَت في بطون أقدامهم، وأنّ إدراكاتِهم مُنِيَت بالبلادةِ والصفاقة، فمِن أين إذاً يكونُ لهؤلاءِ قدرةٌ إلى حُسْن النَّظر، أو اتّخاذهم سبيلاً يعقلونَ فيه أنَّهم هابطون سفهاءُ جُهلاء؟!

مِن هنا، فإنَّ من حقِّ مثل وائل على مثلي، أن أُقدِّمَ لهذا

المؤمنين، فلماذا لم يفعل ذلك، فيذوق الشيخُ حيّاً وميتاً من واحدٍ من خُلَّص تلاميذه ـ زعمَ طبعاً ـ ما ذاقَ غيره من الأذى، فهل كان سيفرحُ أم سيحزن؟ لكن في ظنِّي أنّه كان سيفرحُ ويحزن في آنٍ معاً، أما فرحُه فأنّ الله يكفِّر عنه بعضَ السيِّئات بالكذبِ والافتراءِ عليه، أما حزنُه فبما فاتَهُ أن ينفيَ عن نفسه قبل موته دعوى أنّ له تلاميذ حملوا شيئاً من علمه، حتى لا يُخدَع النّاسُ بهم من بعد موته، لكنه رحمه الله أشارَ إلى ما يُشبه النفي، حيث أنّه كثيراً ما كان يقول: (أنا أُعلِّمُ ولا أُربِّي)، وهذه الجملةُ القصيرةُ كافية، إذ أنّ التلميذَ الذي يأخذ عن شيخ، أيِّ شيخ، لا بدَّ وأن يتأثّر به التلميذ بشقّي الأخذ، وهما: العلم، والتَّربية، فلماذا إذاً يكون مثل هذا الإصرار من هؤلاء أنّهم تلاميذ الشيخ إلا أن يكونوا يريدون إذابة الشيخ وإلصاقَ أسوأِ تُهمةٍ بالشيخ، وهي: أنّه لم يكن قد أحسنَ تربية أولئك لعجزٍ فيه قد مُني به، وكلّهم يرمونَ أنفسهم عن قوسٍ واحدةٍ بمثل هذه التهمة، صنع بني إسرائيل إذ أمرَهم اللهُ أن يقتلوا أنفسَهم، وهذا طبعاً من سوءِ صنيع لم يؤْذَ به الشيخ، وإلا كانت إساءَته لنفسه أعظم وأعظم، وهو من ذلك بريءٌ رحمه الله.

إذاً؛ فعلى ماذا سيُحملُ التناقضُ الذي وقعَ فيه الشيخ رحمه الله، فتارةً يكون منه الثناء على سيد أحسنُ الثناء، بل

الكتاب، العادل الفاضح..

[التناقض في كلام الشيخ الألباني]

وأما التناقضُ الذي نراه في كلام الشيخ ناصر رحمه الله في ثنيات كلامه، فليس مردُّه إلى بُغضه سيّد قطب، أو إلى رغبته في إيقاع القُرّاء أو السامعين كلامَهُ في ريب منه يتحيَّرون منه، إذ ما كان هذا التصريح القويُّ الكبيرُ في ثنائه عليه، وفي ذمِّ القائلين السوءَ فيه، إلا لعلمه: أنّه حتى وإن قال فيه قولاً حسناً، فهو من نافلة القول، وأنّ المسلمين جميعَهم في الأرض يشهدونَ فيه شهادة الحقّ، وأنّ تلك الطائفة المزمِّرَة المطبِّلة، التي تكلَّمَت فيه بالطعنِ عليه، والنَّيْلِ منه، لم تعدُ قالةَ ذلك الثعلب، وهو يحاولُ أن يحصلَ على عنقود عنب شهيٍّ من كرمة، فجهدَ أخيراً وعجز: (هذا حصرمٌ رأيتُه في حلب) وقُضيَ الأمر ! هذا ظنُّ الثعلب، الذي أرادَ أن يحملَ الخَلْقَ على تصديقه، فباءَ بأنْ صارَ كلامه مثلاً يُضْرب في الفشل والكذب.

فالشيخُ رحمه الله قال في سيّد كلمة حقٍّ ناصعة وأُعجب المؤمنون حقّاً بها أيّما إعجاب، وتداولَها النّاسُ بينهم، وصارَت حديثاً حسناً، يُشام بها الحقّ ويُذاع، ويُطلب، وكان حسَناً من ذاك السارق غير الحاذق أن يردَّ على الشيخ ناصر بالأسلوب والكلمات التي يستبيح بها أعراضَ

وهو يذمُّ مَن يقع في سيِّد، وتارةً يكون منه نسبة ذمٍّ يُلْصقه بسيِّد، يقول القائل فيه: تناقضٌ ليس يحسُن أن يُقالَ فيه إلا مقالة أبي العلاء المعرّي: ليس لنا إلا السُّكوت عليه ! وسيعرض هذا التناقض للقارئ في ثنيات كلام وائل جزاه الله خيراً.

إذاً فليسَ يحسُنُ بنا أن نقولَ في تناقض الشيخ بقوليه في سيّد ـ لإعذاره بقوله هذا المتناقض ـ إلا: يكفينا ثناء الشيخ رحمه الله على سيد الثناء الصريح، ونسأل الله أن يتجاوزَ عنه في ضِدِّه، كما ونسأله سبحانه أن يجعلَ الحقّ من قوليه الاثنين، بما أثنى عليه فيه، وأن يكون ذمُّه إيّاه لا تعدو زلَّةَ قلمٍ أو لسان، ولا يبرأُ الشيخ رحمه الله من تناقضه هذا إلاَّ بمثل هذا.

[الردُّ على مَن قال: سيد قطب ليس عالماً]

وإنّي والله ليحزنني جداً أن يقول قائلون: إنّ سيّد قطب ليس بعالم، ويُهَمْهِمُ في النّاس بهذه المقولة الحازقة الحاقنة، وهم يردّدونها، ولا يدرونَ بأيِّ لفظٍ أو صورةٍ كلاميّةٍ يُظهرونها.

ولكأنّهم عُمِّي عليهم، أو تغابوا وهم يعلمون النهاية التي أسعدَ الله بها سيّداً رحمه الله، وهي الشهادة في سبيل الله، التي ألقاها سيّد تراثاً عظيماً ماجداً مملوءاً بالأمجاد والمفاخر، فكانت هذه الشهادة هي العلم الحقيقيّ الذي

أبقى الإسلام فوق الأرض، في مشارقها ومغاربها، إلى أن تقوم الساعة كما أنزله الله سبحانه على نبيِّه.

فماذا أفادَ أولئك القائلونَ في سيّد هذه المقولةَ الباهتة الفاختة، أمَا علموا أن سيّداً رحمه الله تعلَّم الطريق إلى الشهادة، وأنالَهُ اللهُ فضلَها، فعلَّمها النّاس حيّاً وميتاً في (معالم في الطريق).

فليبقَ سيد سيّداً في النّاس وعند الملأ الأعلى إن شاء الله، شامخَ الرأس، عظيمَ الهامة، وليبقَ القائلون فيه ما قالوا، قاعدين على أستائهم لا يستطيعونَ حيلةً، ولا يهتدونَ سبيلاً.

[إشارة إلى كتاب «ردّ الأقوال التي نقلها سليم الهلالي عن كتب الشهيد سيد قطب . .»]

وإنّي لأعدُّ هذا الكتاب ـ وإن كانَ إحساناً من مؤلّفه فيه للشيخ ناصر رحمه الله بإظهار شهادته في السيد الشهيد رحمه الله ـ صنواً لكتابه السابق الذي كشفَ فيه سوأة ذلكم السارق الجواظّ، الذي ضلَّ سواءَ السّبيل، وظنَّ أنّ نُهبةَ العِلم ليسَتْ من النُّهَب التي يعاقبُ الله عليها يومَ يقومُ الأشهاد، ولو أنّه كانَ يعلم حقَّ توحيد الألوهية، والربوبية، والأسماء والصفات ـ الذي يزعمُ هو وثلّته، أنّهم قد حذقوه، وعلَّموه، بعد أن تعلّموه على مائدة الشيخ ناصر رحمه الله ـ

لكان منهم تغيير وتحوُّل، وتوبةٌ مِن كلِّ ما أحدثوا من فتنةٍ في النّاسِ، إلا إن كانوا يعتقدونَ، ويقولون: إنّهم هم سنّةٌ مِن سُنَن الله الثابتة ﴿ولن تجدَ لسنّةِ الله تحويلاً﴾، وكفى !

فجزى اللهُ خيراً ولدَنا وائل على ما صنع في كتابيه الاثنين، وأحسنَ مثوبته، فإنّه من ذبَّ عن عرضِ أخيه المسلم في الدنيا، حمى اللهُ وجهَه من نار يوم القيامة، ولا أراه إلا ذلك في الابن الطيّب وائل.

٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٥هـ وكتب

محمد إبراهيم شقرة

أبو مالك

تقديم فضيلة الدكتور
صلاح عبد الفتاح الخالدي

إنّ الحمد لله، نحمده ونستعينه، ونتوب إليه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهدِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد:

[العدل والإنصاف في النقد والتقويم]

فقد أمرَنا اللهُ عزّ وجل بالإنصاف، وعدم بَخْس الآخرين أشياءهم، وعدم التحامل عليهم عندما نختلف معهم، وأوجب علينا العدل في الحبّ والرضى، والعدل في الكُره والغضب، بمعنى أنّ مَن يحبّ شخصاً ويُعجَب به؛ فلا يجوز أن يتغافل عن أخطائه، ويُلغي حسناته، ويعتبره مقدَّساً منزّهاً معصوماً كامل الأوصاف ! ومَن كَرِهَ شخصاً وغضبَ عليه؛ فلا يجوز له أن يُعدم حسناته وإيجابيّاته، ويجعله خالياً من كلِّ خير وفضيلة !! العدلُ مع مَن يحبّه يدعوه إلى إنصافه، واعتماد حسناته وسيّئاته، والموازنة

بينهما، والعدلُ مع مَن لا يحبّه يدعوه إلى إنصافه أيضاً، والموازنة بين حسناته وسيّئاته!

ونعلمُ أنّ كثيراً من المسلمين يفتقدون هذا العدل والإنصاف، فإذا أحبّوا شخصاً رفعوه إلى أعلى عليِّين، وإذا كرهوا شخصاً أنزلوه إلى أسفل سافلين! وما هكذا يكون النّقد والتقويم!

[العدلُ في كتاب الله تعالى]

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين، إنْ يكن غنياً أو فقيراً فالله أولى بهما، فلا تتّبعوا الهوى أن تعدلوا، وإن تلووا أو تعرضوا، فإنّ الله كان بما تعملون خبيراً﴾ (النساء: ١٣٥).

وقال الله عز وجل: ﴿يا أيّها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنّكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقربُ للتقوى، واتقوا الله، إنّ الله خبير بما تعملون﴾ (المائدة: ٨).

وأدعو القرّاء إلى إمعان النّظر في هاتين الآيتين، وملاحظة الفروق بينهما، ومحاولة توجيههما، واستخراج دلالات منهما في العدل والإنصاف وعدم الظلم..

[القُضاة الجُدُد وخطورة منهجهم في النّقد]

وأبرز ما يكون التحامل والظلم وعدم العدل والإنصاف، عند كثير ممن يتصدّرون للنّقد والتقويم في ميدان العلم الشرعي والفكر الإسلامي والدعوة الإسلامية في هذه الأيام، الذين يتحدّثون ويكتبون ويؤلفون، والذين ينصبون أنفسهم قضاة على العلماء والمفكّرين والدعاة، فيحاكمونهم في محاكمهم، ويتعاملون معهم بتحاملٍ واتّهام، وسوء نظر وظنٍّ وتحليل وتقويم، ويتغافلون عن صوابهم وجهودهم، ويتصيّدون أخطاءهم، ويجمعون زلاتهم، ويضخّمون المؤاخذات التي تؤخذ عليهم، بحيث تغطّي على كلّ ما أصابوا فيه، فلا يرون من مؤلّفاتهم إلا تلك الأخطاء والزلات المكبَّرة !

إنّ التعامل مع العلماء والمفكرين والدعاة بهذه الطريقة المتحاملة المتجنّية ظلمٌ لهم، وبخسٌ لأعمالهم ونتاجهم، وإعدامٌ لأفكارهم وجهوهم، وتنفيرٌ منهم، ودعوةٌ لطلبة العلم لعدم الاستفادة من علمهم !!

[دعوةٌ إلى الموازنة بين الحسنات والسيئات]

إنّنا ندعو إلى أن ننظر في نتاج العلماء السابقين والمعاصرين بعدلٍ وإنصاف، في حبِّ مَن نحبُّ منهم، وفي الاختلاف مع مَن نختلف معه منهم، وذلك بأن ننظرَ في مؤلفاتهم وأعمالهم بعينين اثنتين فاحصتين منصفتين: عين

ترى الإيجابيات والحسنات، وتسجّلها وترصدها، وعين ثانية ترى الأخطاء والزلات وترصدها.. وبعد ذلك نَزِنُ نتاجَ هؤلاء بميزانٍ عادلٍ مُنصف، له كفّتان عادلتان: كفّة توضع فيها الحسناتُ والإيجابيات، وكفّة أخرى توضع فيها الزلات والأخطاء، ثم توزَن أعمال هؤلاء العلماء والدعاة، وتُرصد نسبة الأخطاء إلى جانب نسبة الإيجابيات، ثم نخرج بنتيجة تقويمية عادلة منصفة، فنقول: العالِم الفلاني الذي نحبّه صوابه كثير، وخطؤه قليل، ونسبة الخطأ إلى الصواب تساوي عشرين بالمائة مثلاً ! والعالِم الفلاني الذي نختلف معه صوابه كثير وخطؤه قليل أيضاً، ونسبة الخطأ إلى الصواب عنده تساوي ثلاثين بالمائة مثلاً !!

فإنْ لم نفعل ذلك مع مَن نحبّهم ومع مَن نختلف معهم، نكون ظالمين للفريقين، نُعطي المحبوبين أكثر مما يستحقّون، وننقص غير المحبوبين كثيراً مما يستحقّون، وينطبق علينا قول الشاعر:

وعينُ الرضا عن كلِّ عيب كليلة

ولكنَّ عينَ السّخط تُبدي المساويا

[سيد قطب ظُلِمَ ظلماً شديداً]

وفي مقدمة العلماء المعاصرين الذين ظُلموا بعد موتهم ظلماً كبيراً: المفكّر المفسّر الرائد الشهيد - إن شاء الله -

سيد قطب عليه رحمة الله. وإنّ ما خلّفه الشهيد الرائد من علمٍ وفكرٍ وأدبٍ كثير، وقد كتبَ اللهُ لكتبه القبول، وله الحمد والشكر، حيث سارَت في مختلف بقاع المسلمين، وتتلمذَ عليها كثيرون من طلبة العلم.

[الظالمون حريصون على وأد كتب سيد]

وقد كان أعداؤه الذين قتلوه حريصين على «وأد» فكره وعلمه، وإعدام كتبه ومؤلفاته. وأذكر أنّ الأديب المصري عبدالحميد جودة السحار كان مشتركاً مع سيد قطب في تأليف سلسلة «القصص الديني» للأطفال، وبعد إعدام سيد قطب عام ١٩٦٦، نفدت السلسلة من الأسواق، وأراد السحار إعادة طبعها، فذهبَ إلى الحكومة الثورية لأخذ إذن بالطبع، وأحالوه على سيئ الذكر شمس بدران، فقال له: لن نعطيك الإذن إلا إذا شطبتَ اسم سيد قطب ! فقال له: ولكنه مشارك لي في التأليف؛ فكيف أشطب اسمه؟ وكأنّكم حريصون على القضاء على اسم سيد قطب وكتبه؟! فصارحه بدران قائلاً: نعم. نحن حريصون على القضاء على اسمه وكتبه !

ومضَت السنوات تباعاً، وبعد نحو أربعين سنة من هذه الحادثة، ها نحن نرى مَن هو الذي نشرَ اللهُ اسمَه وعلمَه وكتبَه، ومَن هم الذين أماتَ اللهُ أشخاصهم وذكراهم !!

[كتبَ اللهُ لكتب سيد القبول في الأرض]

لعلَّ الأستاذ المفكّر الرائد سيد قطب رحمه الله مِن أكثر المفكّرين الإسلاميين انتشاراً لمؤلّفاتهم، بحيث يُطبع تفسيره الرائد «في ظلال القرآن» كلّ عام آلاف النسخ.

وقد روى الأخ الأستاذ أحمد عبدالمجيد ـ حفظه الله ـ وقد كان وثيق الصّلة بسيّد قطب، وأحد قادة تنظيم الإخوان عام ١٩٦٥؛ رؤيا رآها سيد قطب قبل استشهاده، وأخبرَ بها إخوانه تحدُّثاً بنعمة الله.

قال لهم: رأيتُ نفسي جالساً في صدر الغرفة، وفوقَ رأسي علبة من عسل، معلّقة على جدار الغرفة، فرفعتُ رأسي لأنظرَ إليها، فرأيتُ العسل يخرجُ منها، ويقعُ على رأسي، ثمّ ينزل على الأرض أمامي، ورأيتُ العسلَ كأنّه عين ماء، يخرج من العلبة، وينزل على الأرض، حتى ملأ الغرفة، ثمّ خرجَ إلى الخارج فملأ الساحة، ثم امتدّ إلى الشارع فملأه، وأنا أنظر إليه. ثمّ استيقظت !!

قالوا له: فماذا أوّلتَ الرؤيا؟

فأجابَ على استحياء: لعلّها مؤلّفاتي وكتبي تنتشرُ بين النّاس !!

وكم يُخطئ الذين يقفونَ أمام مؤلفات سيد قطب،

ويَحرمون الشبابَ المسلم من الاستفادة منها، وكم يُخطئ الذين يتعاملون معها بالعقلية العُرفيّة، ويتّخذون القرارات بعدم إدخالها إلى بلدانهم ! وما درى هؤلاء المساكين أنّهم يعملون بعملهم هذا دعاية لها، وأنّ الشباب الملتزم يزداد إقبالاً عليها، ولا يعدم وسيلة الحصول عليها، خاصّة بعد انتشار شبكات ومواقع «الإنترنت» !!

[وقفة مع الذين تفرّغوا لنقد كتب سيّد]

والعجيبُ أن «يفرّغ» بعض مَن يتصدّرون مراكز الزعامة في العلم الشرعي، وينصّبون أنفسهم قضاةً على علمِ وفكرِ الآخرين، ويجعلونَ أنفسهم «الورثة الشرعيين الوحيدين» لعلم السّلف الصالح، يفرّغون أنفسَهم لنقد كتب سيد قطب، ويقصرون جهدهم على بيان أخطائها وانحرافها، وكشف زيغها، وتحذير المسلمين منها، و«الاستقواء» بالمسؤولين عليها، وإصدار الأشرطة والنشرات و«المطويات» ضدّها... وتأليف الكتب في نقضها !

ولو كانوا مُنصفين عادلين موضوعيين لما ساءَنا الأمر، فإنّنا نعتقد أنّ الأستاذ الرائد سيد قطب ليس معصوماً ولا مقدّساً، ونعترفُ أنّ له بعض الأخطاء في كتبه، لكنّها أخطاء قليلة، لا تكاد تُذكر أمام صوابه وفكره الصحيح؛ عندما ننظر له بالعينين المنصفتين، ونَزِنُ علمَه وفكره

بالميزان ذي الكفّتين العادلتين ! وإنّ أخطاءَه في كتبه لا تكاد تساوي اثنتين بالمائة، بالقياس إلى صوابه ! ويُكتفى بصفحتين أو ثلاث لذكر تلك الأخطاء، بدلَ أن يُؤلِّف شيخٌ واحد أربعة كتب في أخطاء سيد قطب، كلّها تقوم على التحامل والظلم والتحريف !!

[موقف العلماء المنصفين]

وانبرى المنصفونَ من العلماء إلى إنصاف الرائد سيد قطب، وبيان ما أصابَ وأجادَ فيه، وما أخطأَ فيه عليه رحمة الله، وتصدّوا لهؤلاء المتحاملين المغرضين، وبيَّنوا ما وقعوا فيه من خطأ منهجي، قادهم إلى الظلم والعدوان. وفي مقدمة هؤلاء الأستاذ الشيخ بكر أبو زيد، والشيخ سلمان العودة، والشيخ عبدالله الجبرين، والشيخ عبدالرحمن الدوسري، من علماء السعودية، إضافة إلى الدّعاة والعلماء: محمد قطب، وعمر التلمساني، والدكتور عمر الأشقر، جزاهم الله على إنصافهم خير الجزاء.

[كلمة حق للألباني]

وقد كان لفضيلة الشيخ المحدّث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله كلمة حقّ في المفكّر الرائد سيد قطب، حيث وُجِّهَت له عدّة أسئلة تتعلّق بسيد قطب وعلمه وفكره ودعوته، وصوابه وخطئه، وأجاب عليها إجابات بصوته،

مسجَّلة على أشرطة، وتكلّم في سيد بما يراه، وشهدَ له في معظم ما قال، ودافع عنه وأنصفه، وردَّ على الذين تحاملوا عليه وظلموه وتجنّوا عليه، وأخذَ عليه بعض المآخذ، وانتقده بعض الانتقادات.

[التعارض في كلام الشيخ الألباني]

ونحن قد لا نوافقُ فضيلة الشيخ الألباني رحمه الله في بعض ما انتقدَ فيه سيد قطب، وقد نخالفه في النّظر إليه، ولا سيّما إذا تعارضَ قوله عنه في المسألة الواحدة، في أكثر من موضع، حيث يُثني عليه في موضع، ويأخذُ عليه في موضع آخر، والموضوع لم يتغيّر. وقد حاولَ الشيخ محمد إبراهيم شقرة ـ حفظه الله ـ توجيه هذا التعارض لكلام الشيخ رحمه الله في تقديمه لهذا الكتاب..

وإنّ مخالفاتنا لبعض ما قاله الشيخ الألباني رحمه الله في انتقاد سيد قطب لا تمنعنا من إثبات قوله، ودعوة النّاس إلى قراءَته.

[ما شهد به الألباني لسيد أكثر مما أخذه عليه]

أمّا ما شهدَ له به فهو أكثر مما أخذه عليه، ولقد شهدَ فضيلة المحدّث الألباني رحمه الله شهادة حقٍّ في سيد قطب وفكره، جزاه الله خيرَ الجزاء.

[هذا الكتاب]

وقد قابلَني الأخُ الفاضل الباحث الأستاذ وائل علي البتيري وفّقه الله، وأطلعَني على هذا العمل الجيّد الذي أعدّه، وسمّاه «كلمة حق للمحدّث الألباني في الأستاذ سيد قطب»، فوجدتُه عملاً طيّباً جيّداً والحمد لله، ووجدتُ الأخ وائل البتيري قد بذلَ فيه جهداً مباركاً إن شاء الله، من حيث تفريغ أقوال الألباني من الأشرطة، وتحريرها، والتعليق عليها التعليقات المنصفة الموضوعيّة، وختمَ الكتابَ بتسجيل شهاداتٍ لعلماء عاملين منصفين، شهدوا فيها شهادة حق لسيد قطب، تقرّبوا بها إلى الله.

فجزى اللهُ الأخ الباحث وائل البتيري خيرَ الجزاء، وكتبَ لكتابه المنصف هذا القبولَ عنده، والانتشارَ بين النّاس، وجزاه عن سيد قطب وفكره وعلمه ودعوته خيراً.

وأسألُ اللهَ له مزيداً من التوفيق والسّداد، والبحث والتدقيق، والعدل والإنصاف، والانتصار للحقّ والصواب.

وصلى اللهُ على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

د. صلاح عبد الفتاح الخالدي

الثلاثاء ١٧ شوال ١٤٢٥

٢٠٠٤/١١/٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيّئات أعمالنا ، مَن يهده الله فلا مضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْس وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ .

أما بعد ؛ فإنّ أصدقَ الحديث كتاب الله ـ عز وجل ـ ، وخير الهدي هديُ محمد ﷺ ، وشرَّ الأمور محدثاتها ، وكلَّ محدثة بدعة ، وكلَّ بدعة ضلالة ، وكلَّ ضلالة في النَّار . وبعد :

فهذا زمانٌ قلَّ فيه العدلُ والإنصاف ، وسادَ الظُّلمُ والبُهتان والإجحاف ، وغدا كلُّ واحدٍ يحملُ مرآةً لا تُفارقه ولا يفارقها ،

ينظرُ فيها ليرى نفسه ، ويرى فيها كلَّ جمال وكمال ، فصارَ الكِبْرُ متربّعاً على عرشِ النُّفوس ، وأصبح إسقاط الآخرين همّاً لا يفارقها ، فلأجله تُؤَوَّل نُصوصٌ ويُضرب على أخرى ، وله تُستنفر طاقات ، وتُشحذُ هِمَم ، وتُطبَع كُتُب ، وتُقام مُحاضرات ، وتُوزَّع أَشرطة . .

أمّا إحسانُ الظنِّ ؛ فظنٌّ سيّئ !! وأمّا الإنصاف ؛ فمخالفةٌ للمنهج !! وأمّا إعذار الآخرين ؛ فتمييعٌ فاسد ، وأما ترك الخوض في أعراض المسلمين ؛ فورعٌ بارد !!

اختلّت الموازين عند هؤلاء ؛ حتّى صار الواحد منهم كالذئب المفترس ، يدبّ على الأرض ، يبحث عن فريسته ، ولكن أين؟! . . في بطون الكتُب ، يطيلُ التأمّل في الكلمات ، ويمعن النّظر بين الحرف والحرف ؛ لعلّه يجد ما يُعمل فيه سوءَ ظنّه . . فيقع على ضالّته التي يسدّ بدمائها جوعتَه !! ويُريق من دمها ما يكفي لتشويه المروج الخضراء المزهرة !!

ومن بعيد ؛ تسطع شمسُ الحقِّ ، وتطلّ ـ بهيةً ـ ساريةُ العدل شيئاً فشيئاً . . ويقترب صوتُ شيخ كبير ، سَمْتُه الأدب ، وغايته الإنصاف ، ودثاره العلم ، وشعاره التواضع ولين الجانب . . أراد الحقَّ فأصابه ، وسعى إلى العدل فأدركه ، وطلبَ الخُلُقَ الكريم فكان حقيقاً بأن يكون مثالاً له ، وأمارةً عليه ، وقصدَ الصوابَ في القول ، فوفّقه الله إليه ، وأعانه عليه ، فنسألُ اللهَ له الأجرَ والمثوبة .

في هذه الرسالة كلمة حقٍّ في الأستاذ الشهيد[١] سيد قطب ، أطلقها المحدِّث الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ تغمّدهما الله بالرّحمة[٢] ـ ، ترى فيها مثالاً حيّاً ، وتطبيقاً عملياً لقواعد أهل السنّة والجماعة في الحكم على الأشخاص والجماعات . ومِن هذه القواعد التي ستراها جليّة في كلام المحدّث الألباني :

١ ـ العلم هو أساس الحكم على الآخرين ، ويتضمّن ذلك :

---

(١) قال الشيخ عبدالله بن جبرين :

«ولَمّا قُتل كلٌّ واحد منهما (أي : سيد قطب وحسن البنا) أطلقَ (أي : ابن باز) على كلٍّ واحد أنه شهيد لأنّه قُتل ظلماً ، وشهد بذلك الخاصّ والعامّ ، ونُشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار» . انظر (ص٩٩ ـ ١٠٠) من هذا الكتاب .

(٢) سئل الشيخ الألباني ـ كما في الشريط رقم (٦٦٦) من سلسلة الهدى والنور ـ :

ما قولكم يا شيخ فيمن يقول : لا يُترحَّم على من خالف عقيدة السلف كالنووي وابن حجر وابن حزم وابن الجوزي وغيرهم ، ومن المعاصرين سيد قطب وحسن البنا ؛ مع أنكم تعلمون ما عند البنا في «مذكرات الدعوة» ، وعند سيد قطب في «ظلال القرآن»؟ فأجاب :

«نحن نعتقد أنّ الرحمة ـ أو بعبارة أصرح : الدعاء بالرحمة ـ جائزة لكلّ مسلم ، ومحرّمة على كلّ كافر ، فالجواب هذا يتفرّع على اعتقاد يقوم في نفس الشخص ، فمن كان يرى أنّ هؤلاء الذين سُمّوا في السؤال وفي أمثالهم أنّهم مسلمون ، فالجواب عُرف مما سبق أنّه يجوز الدعاء لهم بالرحمة وبالمغفرة ، ومن كان يرى ـ لا سمح الله ـ أنّ هؤلاء المسلمين الذين ذُكروا في السؤال هم ليسوا من المسلمين فلا يجوز الترحّم عليهم ، لأن الرحمة قد حُرِّمت على الكافرين» .

أ ـ تعلُّم العلم الشّرعي الذي يكون هو الميزان في الحكم على أقوال الناس .

ب ـ فهم النّصوص التي يُراد وَزنُها فهماً دقيقاً ضمن القواعد اللغوية المعروفة .

جـ ـ معرفة الواقع الذي قيلَتْ فيه .

د ـ عدم التعمّق الذي يُفضي إلى التُّهمة .

٢ ـ ليس كلّ مَن يقع في البدعة مبتدعاً .

٣ ـ ليس كلّ من يقع في البدعة يُهدرُ كلامه ، «فنحن نجد في أئمة الحديث مَن يتقبّلون حديثَه ويقولون عنه في ترجمته : «إنّه مُرجئ ، وإنّه خارجيّ ، وإنه ناصبيّ . . . إلخ»[1] .

٤ ـ الاستفصال في الكلمات المحتملة ؛ وخاصّة التي لم تَرِد في الكتاب والسنّة ، وسؤال قائلها عن مقصوده منها .

٥ ـ الاستعانة على فهم الأقوال بمعرفة حال قائلها وعقيدته .

٦ ـ التماس الأعذار ضمن قاعدة «التمس لأخيك عذراً» ، فالناس ليسوا معصومين .

---

(١) ما بين القوسين من كلام الشيخ الألباني في الشريط ، وتتمّة كلامه : «هذه كلّها عيوب ، وكلّها ضلالات ، لكن أئمّة الحديث عندهم ميزانٌ يتمسّكون به ، ولا يرجّحون كفّة السيّئة على الحسنات ، أو سيئتين أو ثلاث على جملة حسنات ؛ ومِن أعظمها شهادة أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً رسول الله» .

٧ ـ حمل الكلام على أحسن الاحتمالات ؛ لأنّ الأصلَ هو إحسان الظنّ .

٨ ـ لازم القول ليس مذهباً لقائله .

٩ ـ مراعاة حُرمة الأموات الذين انتقلوا إلى «رحمة الله وفضله» .

١٠ ـ النّظر في فائدة البحث في الحكم على الآخرين ، ومراعاة المصالح والمفاسد .

١١ ـ لا يُهدَرُ كلُّ كلام المرء بحجّة أنّه ليس بعالم .

هذه المعالم يستنتجها القارئ من هذه الرسالة ومن أصلها ؛ الذي هو عبارة عن شريطين بعنوان : «كلام معتدل في سيّد قطب وغيره» برقم : (١/٧٨٤ و١/٧٨٥/الهدى والنور) ، وقمت بتفريغهما ، وتحريرهما من غير إخلال ، وحذفِ الاستطرادات منهما ، والتعليق عليهما تعليقات جمعتُ في بعضها ما تناثرَ في كتب الشيخ الألبانيّ وأشرطته من أقواله في الأستاذ سيد قطب ـ رحمهما الله تعالى ـ ، وكذا أقوال الشيخين عبدالعزيز بن باز ومحمد بن صالح العثيمين ـ تغمّدهما الله بالرحمة ـ ، وغيرهما من العلماء والدعاة .

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ هذا المجلس قد حضرَه الشيخ عدنان عرعور ، وشارك فيه سائلاً ومعلّقاً .

ثمَّ رأيت ـ لتمام الفائدة ـ أن أُلحق بهذا الشريط جزءاً من شريط آخر للشيخ ـ رحمه الله ـ وهو شريط رقم (١/٨١٤/الهدى والنور) وهو موجود ضمن موقع «الأثر» على الإنترنت .

ثمَّ عقدتُ بعد تمام هذه الرسالة فصلاً يشتمل على شهادات وآراء بعض أهل العلم فيما يتعلَّق بهذا الموضوع ؛ كانت متفرّقة هنا وهناك ، فرأيتُ أن أوثّقها وأجمعَها في سِفْرٍ واحد ، وتركتُها كما هي من غير تعليقٍ عليها .

ولا أنسى أن أشكرَ صاحبي الفضيلة الشيخ محمد إبراهيم شقرة والدكتور صلاح عبدالفتاح الخالدي على تفضُّلها بالتقديم لهذا الكتاب ، كما وأشكر الإخوة الأفاضل الذين أبدوا ملاحظاتهم واقتراحاتهم ؛ وأذكرُ منهم المشايخ والأساتذة الفُضلاء :

عبدالفتاح عمر ، خلدون المفلح ، بسام ناصر ، حسن أبو هنية ، المثنى عبدالفتاح ، سليمان الهشلمون .

وأسأل المولى عز وجلّ أن يتقبّل هذا العمل ، وأن ينفع به ، إنّه سميع مجيب .

وائل علي البتيري

١٨/ربيع ثاني/١٤٢٥هـ
٢٠٠٤/٦/٧م (عمّان)

الشريط الأول

• مفهوم الشرك عند سيد قطب

عرعور : يقول سيد قطب في بعض كتبه : «إنّ عبادة الأصنام التي دعا إبراهيم عليه السلام ربَّه أن يجنِّبه هو وبنيه إياها لا تتمثَّل فقط في تلك الصورة السّاذجة التي كان يزاولها العرب في جاهليتهم ، أو التي كانت تزاولها شتّى الوثنيّات في صورٍ شتّى مجسَّمة في أحجار أو أشجار ، أو حيوان أو طير ، أو نجم أو نار ، أو أرواح أو أشباح .

إنّ هذه الصّورة السَّاذجة كلّها لا تستغرق كلَّ[١] صورَ الشِّرك بالله ، ولا تستغرق كلَّ صور العبادة للأصنام من دون الله ، والوقوف بمدلول الشِّرك عند هذه الصّورة السَّاذجة يمنعنا من رؤية صور الشِّرك الأُخرى التي لا نهاية لها ، ويمنعنا من الرؤية الصَّحيحة لحقيقة ما يَعْتَوِرُ البشريّة من صور الشِّرك والجاهلية الجديدة .

ولا بدَّ من التعمُّق في إدراك طبيعة الشِّرك وعلاقة الأصنام

---

(١) كلمة (كلّ) سقطت من كتاب «أضواء إسلامية . .» (ص١١٠) للشيخ ربيع بن هادي المدخلي !!!

بها ، كما أنّه لا بدّ من التعمّق في معنى الأصنام ، وتمثُّل صورها المجرَّدة[١] المتجدّدة مع الجاهليات المستحدثة»[٢] .

نريد تعليق شيخنا ، ثم نقرأ تعليق أحد الإخوة الأفاضل على هذا الكلام .

الألباني : لا شكَّ أنَّ هذا الكلام سليم مائة بالمائة ، ويكفي في ذلك قوله تعالى في القرآن الكريم : ﴿اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله﴾ [التوبة : ٣١] ، والتفسير الذي جاء في هذه الآية لَمّا نزلت .

هذه الآية نزلت في حقّ النّصارى ، وكان من العرب الذين تنصَّروا في الجاهلية مع قلَّة المتنصِّرين : عديّ بن حاتم الطّائي ، ثمَّ هداهُ اللهُ عزّ وجلّ إلى الإسلام ؛ في قصّة مذكورة في «مسند الإمام أحمد»[٣] وغيره . فلمّا نزلت هذه الآية أشكلَتْ على عدي بن حاتم الطائي ؛ لأنّه فَهِمَها بمعنى الشرك الذي

---

(١) كلمة (المجردة) غير موجودة في «الظلال» ـ الطبعة الثالثة والعشرون لدار الشروق .

(٢) «في ظلال القرآن» (٢١١٤/٤) .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير (٣٠٩٥) ، والإمام أحمد (٣٧٨/٤ ، ٣٧٩) ، وغيرهما . ورواية الشيخ له بالمعنى .

يُنكر سيد قطب أن يكون محصوراً في عبادة الأصنام والوثنيات ، فقال له عليه السّلام - موضّحاً له المعنى الأعمّ الأشمل للشرك بالله عز وجل في اتباع غير شريعته - : «ألستم كنتم إذا حرَّموا لكم حلالاً حرّمتموه ، وإذا حلَّلوا لكم حراماً حلَّلتموه؟» ، قال : أمّا هذا فقد كان ، قال : «فذاك اتّخاذكم إياهم أرباباً من دون الله» .

فالآن هذا نوعٌ من الشرك غير ملاحَظ . . .

هذا المعنى معنى شامل وجامع ، وقد أحسن سيّد قطب حين دفعَ شُبهة مَن قد يقف عند صورة من صور الشِّرك ، فقال : «فقط» ، أي ليس الشرك هذا فقط ، فوسَّع المعنى ، وهذه التوسعة هي الإسلام(١) .

(١) وقال الألباني في «الحديث حجة بنفسه» (ص٨٥) :

« . . أن تنتبهوا لأمر خَفِيَ على كثير من الشباب المؤمن المثقَّف اليوم فضلاً عن غيرهم ، وهو أنّهم في الوقت الذي علموا فيه - بفضل جهود وكتابات بعض الكتاب الإسلاميين ؛ مثل سيِّد قطب رحمه الله تعالى ، والعلامة المودودي حفظه الله وغيرهما - أنَّ حقَّ التشريع إنَّما هو لله تعالى وحده لا يشاركه فيه أحد من البشر أو الهيئات ، وهو ما عبَّروا عنه بـ «الحاكمية لله تعالى» ، وذلك صريحُ تلك النُّصوص المتقدِّمة في أول هذه الكلمة من الكتاب والسنَّة . . .» ؛ يقصد الشيخ الفصل الثاني الذي عقده بعنوان : «وجوب الرجوع إلى السنَّة وتحريم مخالفتها» .

ولذلك ؛ نحن نقول : إن الوقوف عند محاربة الشّركيات في أفراد الشّعب ، وترك الحكّام الذين يحكمون بغير ما أنزل الله خطأ ، وهذا لا يعني أن ندخل في خِضَمّ التكفير وإخراجهم عن الملّة ، يكفي أنّهم يحكمون بغير ما أنزل الله . والتفصيل الذي ندين الله به أنّ هناك كفراً دون كفر ، وأنّ هناك كفراً عمليّاً وكفراً اعتقاديّاً ، هذا التفصيل الحقّ هو الذي يجعلنا معتدلين ، ولا نتسارع إلى تكفير الحكّام دون أن نفرّق بين حاكم يؤمن بما شرعَ الله ولكن يتّبع هواه في بعض مخالفته لما شرع الله ، وبين حاكم جاحدٍ لحكم الله[١] .

هذا الجانب من التّوحيد يجب ـ أيضاً ـ أن يشتغل به الدعاة .

وأنا أقول كلمة صريحة : إنّ دعاة التوحيد اليوم في امتحانٍ مرير ؛ وذلك أنّ كلَّ قرار يصدر من الحكّام تجد الجواب : هذا أمرُ وليِّ الأمر . فرجعنا ووقعنا فيما نحذّر منه . لماذا لا نتوجّه إذاً إلى الدّعوة بعامّة ، وليس فقط فيما يتعلّق بالشّعوب .

وهذا ما أراده سيّد قطب في كلمة «فقط» ، فهو قيّدها بالوقوف في محاربة الشّركيات المتعلّقة بالشّعوب ، وترك الحكام

(١) انظر تفسير ابن كثير لقوله تعالى : ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقومٍ يوقنون﴾ (المائدة : ٥٠) ، وكذا «عمدة التفسير» لأحمد شاكر .

دون نُصح ودون تحذير، ودون إنكار، ولو مع عدم الخروج.

• الردّ على انتقادات الشيخ ربيع المدخلي

عرعور: علّق أحد الإخوة الأفاضل[١] على هذا الكلام - الذي أرى أنّه كلام ابن القيِّم بأسلوب عصريّ - قائلاً: «في هذا الكلام: أولاً: تهوينٌ من دعوات الأنبياء التي ركّزت على عبادة الأصنام والأوثان».

(هنا ضحكَ الشيخ ضحكةً مسترسلة..)

عرعور: هل في هذا تهوين؟!

الألباني: الجواب واضح.

عرعور: يعني لا؟

---

(١) هو الشيخ ربيع بن هادي المدخلي في كتاب له بعنوان: «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» (ص١١٠). وتتمة كلامه:

«وقد ضجَّ من أسلوب سيد قطب هذا كلّ من يفهم حقيقة التوحيد والشرك، بل ضجَّ منه المتساهلون في موضوع التوحيد والشرك من أصدقائه..».

وعلى هذا؛ فإنَّ الشيخ الألباني لا يفهم حقيقة التوحيد والشرك، فضلاً عن أن يكون من المتساهلين؛ لأنَّه - رحمه الله - لم يضجَّ من هذا الكلام، بل وافقه وأيَّده، فأين يا ترى يُصنَّفُ الألباني عند الشيخ المدخلي؟!

الألباني : طبعاً .

عرعور : قال صاحبنا : «ثانياً : فيه صرفُ الدّعاة عن أعظم وأكبر أنواع الكفر والشّرك الذي حاربه كلّ الأنبياء والمرسلون والمصلحون[٢] ، وأدركوا أنّه أكبر خطر على الإنسانية»[٣] .

هل في هذا الكلام صرفٌ . . .؟

الألباني : صرف؟!! . . لا !!

عرعور : لا يوجد .

الألباني : نعم .

عرعور : قال : «ثالثاً : فيه خلطٌ بين قضايا الشّرك الأكبر والأصغر ، وبين قضايا المعاصي صغيرها وكبيرها»[٤] .

---

(٢) الأصوب أن يقال : «المرسلين والمصلحين» .

(٣) «أضواء إسلامية» (ص١١١) .

(٤) المصدر السابق . وتتمة كلامه :

« . . فإذا كانت العقيدة تترامى حتى تشمل كل جوانب الحياة ، فصور الشرك عند سيد لا نهاية لها ، فكلّ معصية وكل مخالفة صغيرة كانت أو كبيرة تعتبر شركاً عند سيد . .» ، وقال في الحاشية :

«(١) إنَّ مذهب الخوارج في التكفير ليتضاءل جداً أمام هذا المذهب الذي يوسِّع دائرة التكفير إلى ما لا نهاية له» !! =

الألباني : أين هذا؟!!

عرعور : أنا أقول لك أين . . بعض النّاس يرون أنّ مسألة الحاكمية والحاكم بصورة عامة هي شرك أصغر ، وأما شرك القبور فهو بصورة مطلقة شرك أكبر ، ولا يفصّلون بين الشرك العملي والشرك الاعتقادي إلا عند الحاكم ، ولا يُدرجون هذا على النّاس الذين يقعون في شرك القبور ـ كما يسمّى ـ ، فيرون أنّ هذا ليس فيه تفصيل ، أي إذا وقع الرجل في شرك القبور فهو خارج من الملة دون تفصيل ، ودون إقامة حجة أو عذر بالجهل ، إلى غير ذلك . وأما الحاكم بغير ما أنزل الله ففيه تفصيل . فيكون كلام سيّد قطب فيه خلط ، مع أنّه ذكر كلاماً بديعاً .

ثم النّقطة الثانية : يقولون : إنه وصف شرك عبادة الأصنام

= وهذه استنتاجات عجيبة جدُّ عجيبة ؛ يكفي سوقها لبيان بطلانها ، ومع هذا ؛ فأنقل عن سيد قطب رحمه الله قوله في «الظلال» (٤٧٦/١) :

«والفاحشة أبشع الذنوب وأكبرها ، ولكن سماحة هذا الدِّين لا تطرد من يَهْوُون إليها من رحمة الله» .

وانظر : «الكشف الجلي . .» (ص١٦١ ـ ١٦٩) لعبدالقادر منير المزدغي العزابي ، طبع مكتبة التراث الإسلامي .

بأنّه ساذج . . لا شكّ أنه ساذج ، فلا أدري هل فهموا ما معنى «ساذج» أم لا؟! . . .

● معنى «شرك بدائي»

سائل : هل يحسن أن نقول : إنّ شرك الأوثان «شركٌ بدائي»[١]؟!

الألباني : يا أخي ـ بارك الله فيك ـ كلمة «شرك بدائي» هل نزلت في القرآن؟ قل : لا ولا تخَفْ .

السائل : لا .

الألباني : ولم تَرِدْ في السنّة .

السائل : نعم .

الألباني : إذاً ، مَن الذي تكلّم بها؟ زيد من النّاس . نحن نستوضح منه ؛ هل يقصد من كلمة (بدائي) أنه لا يُخرج من الملّة بعد إقامة الحجة؟ فإن كان يقصد هذا ويريد التهوين من هذا الشرك ؛ فنُنكر ذلك عليه . إذاً ، نحن نستوضح منه : ماذا تريد بكلمة (بدائي)؟

أنا الذي أفهمه من هذه الكلمة أنّ العرب يعيشون وثنيين ،

---

(١) «معالم في الطريق» (ص١٠) .

ليس عندهم كتاب - كاليهود أو النصارى - يرشدهم ويدلّهم ويهديهم ، ولو في بعض النّواحي التي بقيَت محفوظة عند أهل الكتاب من دون تحريف ، فهم وثنيّون يعيشون في جاهلية . هذا الذي يعنيه بأنه شركٌ بدائي . ولا أفهمُ أنّه يعني أنّه شركٌ لا ينبغي أن يُهتَمَّ به ، وأظنّ أنك أنت وأمثالك[1] يريدون أن يفهموا هكذا .

• وجوب التماس الأعذار

ولذلك ؛ أولاً : لا تقفوا عند هذه الكلمات . وثانياً : حاولوا أن تفهموا ماذا يعني بهذه الكلمة ؛ كما يُروى عن بعض السّلف : التمس لأخيك عذراً . هذا إذا كانت العبارة فيها إيحاءٌ بما يخالف الشّرع ، أما إذا كانت العبارة غير واضحة فنحملها على أحسن الاحتمالين .

• التفسير الشمولي للعقيدة

عرعور : يقول سيد قطب : «إن الاعتقاد بالألوهية الواحدة قاعدة لمنهج حياةٍ متكامل ، وليس مجرَّد عقيدةٍ مستكنَّةٍ في

---

(١) وفي موضع آخر من الشريط قال الشيخ لهذا السائل : « . . أنت والشباب الآخَرين الذين يقفون في خط منحرف فيما يبدو لنا ، والله أعلم» .

الضّمائر ، وحدود العقيدة أبعد كثيراً من مجرد الاعتقاد السّاكن . .

إنّ حدود الاعتقاد تتّسع وتترامى حتى تتناول كلَّ جانبٍ من جوانب الحياة . . وقضيّة الحاكمية بكلّ فروعها في الإسلام هي قضية عقيدة ، والحاكمية قضية عقيدة ، كما أنّ قضية الأخلاق بجملتها هي قضية عقيدة ، فمن العقيدة ينبثق منهج الحياة الذي يشتمل الأخلاق والقِيَم ، كما يشتمل الأوضاع والشرائع سواءً بسواء»[١] .

الألباني : صحيح .

عرعور : هذا الكلام صحيح؟

الألباني : نعم .

عرعور : يقول أخونا الفاضل معلّقاً على هذا الكلام : «في هذا الكلام حقٌّ وخلط» .

الألباني : عجيب !!

عرعور : يقول : «أمّا أن العقيدة قاعدة لمنهج حياة متكامل ؛ فمسلَّم» .

---

(١) «الظلال» (٢١١٤/٤) .

الألباني : الحمد لله ، طيِّب .

عرعور : وهذا إقرارٌ لكلامه كلِّه .

الألباني : نعم .

عرعور : يقول : «وأما أنّ حدود العقيدة تتّسع وتترامى حتى تتناول كلَّ جانبٍ من جوانب الحياة . . . إلخ ؛ فهذا لم يدلَّ عليه كتابٌ ولا سُنّة ولا قاله علماء الإسلام» .

الألباني : هذا رجلٌ سطحيّ[1] .

---

(١) هذا وصف الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ للشيخ ربيع المدخلي ؛ من غير أن يعلم أنَّه هو . وأنت رأيت ـ وسترى ـ أنَّ الشيخ الألباني يستهجن أحكام الشيخ المدخلي على كلام الرجال ، بل يضحك منها ساخراً ، ويسبِّح الله متعجِّباً ، وهذا ـ لا شكَّ ـ نقدٌ للناحية العلميّة عند الشيخ ربيع ، بله منهجه في الحكم على الرجال .

ولكنَّ العجيب أنَّ الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ يصف الشيخ المدخلي في شريط له بعنوان : «الموازنات بدعة العصر» بأنَّه «حامل راية الجرح والتعديل في العصر الحاضر وبحقّ» ، وأنَّ «الذين يردُّون عليه لا يردُّون عليه بعلم أبداً ، والعلم معه !!» . ويقول في الشريط نفسه :

«أما من حيث العلم ؛ فليس هناك مجال لنقد الرجل إطلاقاً» .

ويقول ـ رحمه الله ـ في شريط «أسئلة أبي الحسن المأربي الدعوية» :

«فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين (أي : ربيع المدخلي ومقبل الوادعي) ـ كما ذكرنا ـ إما جاهل فيُعلَّم ، وإما صاحب هوى فيُستعاذ =

عرعور : هذا الكلام غير صحيح؟

الألباني : نعم . هل يمكن أن نعرف من هذا الذي يعلّق على كلام سيّد قطب؟

عرعور : ما أحبّ ذكر اسمه .

يقول : «فهذا من شذوذات سيّد قطب ليوسّع به دائرة التكفير» . ألا ترونَ أن هذا إلزام بما لا يلزم؟

الألباني : نعم ، بلا شكّ .

عرعور : يقول : «ليوسّع دائرة التكفير لمن يخالف منهجه» . أي : ليس فقط أنّه يكفّر الحكّام ، بل مجرّد أيّ واحد يخالف منهجه يريد سيّد قطب بهذا أن يكفّره .

الألباني : ما عرفنا ذلك عنه . وبالمناسبة أنا أعتقد أنّ

= بالله من شرِّه ، ونطلب من الله عز وجلَّ إما أن يهديه ، وإما أن يقصم ظهره» . ويقول في الشريط نفسه :

« . . فأريد أن أقول : إنَّ الذي رأيته في كتابات الشيخ ربيع أنها مفيدة ، ولا أذكر أني رأيت له خطأً ، وخروجاً عن المنهج الذي نحن نلتقي معه ، ويلتقي معنا فيه» اهـ .

وأنا أذكر هنا ما لم يتذكّره الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ من أخطاء ومخالفات ردَّها وانتقدها الشيخُ نفسُه على (الرجل السّطحي !) (حامل راية الجرح والتعديل في هذا العصر وبحقّ) ، و«المعصوم» (الذي لا مجال لنقده إطلاقاً) ، (والذي لا يَردّ عليه إلا جاهل أو صاحب هوى) !!!

الرَّجُل ليس عالماً[١] ، لكن له كلمات ـ في الحقيقة ، خاصّة في السّجن ـ كأنّها من الإلهام[٢] .

---

(١) وفي شريط رقم (١/٦٦٦) من «سلسلة الهدى والنور» قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في سيد قطب :

«هذا رجلٌ نحن نجلّه على جهاده ، لكنّه لا يزيد على كونه كاتباً ، كان أديباً منشئاً ، لكنّه لم يكن عالماً ، فلا غرابة أن يصدر منه أشياء وأشياء وأشياء تخالف المنهج الصحيح» .

وللأسف ؛ فقد أصبحت كلمة (عالم) محطّ ولاء وبراء عند الكثيرين ، ولكن ، مَن هو العالم؟ ومَن الذي يحكم على رَجلٍ ما بأنَّه عالم؟ وهل يُشترط في العالم أن يكون عالماً بالعلوم كلِّها أم إنَّ هناك عالماً متخصِّصاً؟! هذه الأسئلة بحاجة إلى إجابات ملحّة !

ولقد وصفَ الشيخ عبدالله بن جبرين سيد قطب بأنّه من علماء المسلمين ؛ قال في فتواه التي نُشرت في جريدة «الأنباء» الكويتية ، العدد (٧٢٨٨) :

«إنَّ سيد قطب وحسن البنّا من علماء المسلمين . .» . وانظرها بتمامها (ص) ، وانظر شهادة الشيخ عبدالفتاح عمر (ص٩٢ ـ ٩٤) .

(٢) وقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في شريط رقم (٨٠٥) من «سلسلة الهدى والنور» :

«ولكنّي أعتقد أن السيد قطب في آخر حياته وهو في سجنه قد بدا منه تحوّلٌ كبيرٌ جداً إلى بعض الأصول السلفيّة ، وإن كان في كتبه القديمة فيها كثير من الأخطاء العلميّة سواء ما يتعلّق منها ببعض العقائد أو ببعض الأحكام . ولكنّي أقول : إنه في السجن قد ظهرَ =

عرعور : يقول : «وهو مع ذلك يحيد عن ذكر شرك القبور»[١] .

الألباني ـ ضاحكاً ـ : سبحان الله !!

عرعور : الحقيقة أنّ هؤلاء أُتوا من جهة أنّهم ـ هم ـ

= منه أنّه لا يدعو إلى مثل هذا التكتّل وهذا التحزّب ؛ الذي لا يقوم على ما نُسمِّيه نحن بالتصفية والتربية ، وكلامه هذا مسجَّلٌ في مقالته المعروفة «لماذا أعدموني»» .

وقال في شريط رقم (٨١٤) :

«الحقيقة أنّه تطوّر كثيراً وكتب بعض الكتابات كأنَّها بقلم سلفيٍّ وليست منه ، لكن أنا أعتقد أنّ السجن يُربّي بعض النُّفوس ، ويوقظ بعض الضمائر» . انظر (ص   ) من هذا الكتاب .

وقال أحمد عبدالمجيد ـ أحد الملازمين لسيد قطب ـ في شهادته المنشورة على موقع (إسلام أون لاين) في تاريخ ٢٠٠٤/٧/١٢ ـ متحدّثاً عن التغيّر الذي حصل في فكر سيد قطب أثناء فترة السجن ـ :

«حدث تغيير في أفكار سيد قطب ، فعندما كان في مستشفى ليمان طرة ، طلب من أسرته كتب الشهيد حسن البنا ، والأستاذ أبو الأعلى المودودي ، فبدأ يتنبه إلى أمور كانت غائبة عنه ، خاصة في ضرورة التركيز على موضوع العقيدة ، ثم بدأ يطلب كتب ابن تيمية وابن القيم ، وبدأ التغير في تفكيره وكتاباته ، وظهر ذلك جليّاً في الطبعة الثانية من (الظلال) ، بدءاً من الجزء (١٣) والأجزاء الأخيرة ، وكتاب (خصائص التصور الإسلامي) ، و(مقومات التصور الإسلامي) و(معالم في الطريق)» .

(١) «أضواء إسلامية» (ص١٠٩ ـ ١١٠) .

يفسّرون كلام الآخرين ، مع أنّ إخوانهم في العقيدة والمنهج ؛ وبخاصة من أمثالكم ، وأمثال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز وغيره ، يرون أنّ هذا الكلام لا يحتمل مثل هذه التأويلات التي حملوا كلام النّاس عليها .

الألباني : هذا صحيح . . .

الإسلام كلُّه عقيدة ، هذه حقيقة . وهذه العقيدة حينذاك لا بدّ أن تحفز صاحبها على التجاوب معها : إن كان مجرّد إيمان بالغيب آمن به ، وإن كان إيماناً بحُكمٍ شرعيٍّ فهو يعمل به على ضوء ما تضمّنه الحكم الشرعي . . .

• تهمة التكفير

السائل : لعلّ الرجل الذي يعلّق على كلام سيد عندما قال عنه أنّه يريد أن يوسّع دائرة التكفير ، لعلّه أراد بهذا الكلام أنّ سيد قطب قال : إنّ الأمة الإسلامية في هذا العصر تعيش في جاهلية لم تعِشْها الجاهلية الأولى[1] ، وقال : إن مساجدها

---

(١) قال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ في مقدمة «مختصر العلو» (ص٥٨ ـ ٦١) :

« . . وأعتقد أنّ كلّ دعوة لا تقوم على هذا الأساس الصحيح من التصفويّة ؛ فسوف لا يُكتب لها النجاح اللائق بدين الله الخالد . =

معابد جاهلية[١] ، و«إنّ الإسلام يرفض الاعتراف بإسلامية هذه المجتمعات»[١] . هذا قرأته بعيني يا شيخ !!

= ولقد تنبَّه لهذا أخيراً بعض الدعاة الإسلاميين ، فهذا هو الأستاذ الكبير سيد قطب رحمه الله تعالى . . .» ، ونقلَ الشيخُ عنه كلاماً من «معالم في الطريق» ؛ منه قوله :

«ثم ذكر ـ رحمه الله ـ عاملَيْن آخرين ، ثم قال (ص١٧) :

«نحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام أو أظلم ، كلّ ما ورد حولنا جاهلية . . . تصوّرات النّاس وعقائدهم ، عاداتهم وتقاليدهم ، موارد ثقافتهم ، فنونهم وآدابهم ، شرائعهم وقوانينهم ، حتى الكثير مما نحسبه ثقافة إسلامية ، ومراجع إسلامية ، وفلسفة إسلامية ، وتفكيراً إسلامياً . . . هو كذلك من صنع الجاهلية» ، إلى أن قال ـ أي سيِّد ـ :

«ثمَّ لا بد لنا من التخلُّص من ضغط المجتمع الجاهلي ، والتصوّرات الجاهلية ، والتقاليد الجاهلية ، والقيادة الجاهلية في خاصّة نفوسنا . . . ليست مهمّتنا أن نصطلح مع واقع هذا المجتمع الجاهلي ، ولا أن ندين بالولاء له ، فهو بهذه الصفة . . . صفة الجاهلية . . . غير قابل لأن نصطلح معه . إنَّ مهمّتنا أن نغيِّر من أنفسنا أولاً لنغيِّر هذا المجتمع أخيراً . . .»» .

ثمّ ينبري الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ للردّ على مَن يغمز مِن هذا الكلام وقائله (ص٦٢ ـ ٦٦) ؛ فانظره هناك .

فهل يُقال ـ بعد ذا ـ : إنَّ الشيخ الألباني يكفِّر المسلمين؟!!

(١) لعلَّ من المناسب هنا أن أنقل شهاداتٍ تنفي تهمة تكفير =

الألباني : هل ذهبتَ إلى مصر؟!

= المسلمين عن سيد قطب رحمه الله ، وتوجِّه كلامه الذي أوهم ذلك توجيهاً سليماً إن شاء الله :

١ ـ شهادة الشيخ محمد قطب :

«في طليعة هذه الروايات «الوثيقة» الهامة التي كتبها الأستاذ محمد قطب ، وأرسلها إلى صهره الشهيد كمال الدين السنانيري ؛ والتي يوضِّح فيها خلاصة رأي سيد قطب في هذا الموضوع ـ وغيره ـ ، وقد نَشرت تلك الرواية ـ الرسالة الوثيقة ـ مجلةُ الشهاب اللبنانية [العدد الخامس/السنة التاسعة] ، ومجلة المجتمع الكويتية [العدد ٥٦٥]»(*) .

«إنَّ كتابات سيد قد تركَّزت حول موضوع معيَّن ، هو بيان المعنى الحقيقي للا إله إلا الله ، شعوراً منه بأنَّ كثيراً من النَّاس لا يدركون هذا المعنى على حقيقته ، وبيان المواصفات الحقيقية للإيمان كما وردت في الكتاب والسنّة ؛ شعوراً منه بأنَّ كثيراً من هذه المواصفات قد أهمل أو غفل النَّاس عنه . ولكنَّه مع ذلك حرصَ حرصاً شديداً على أن يبيِّن أنَّ كلامه هذا ليس مقصوداً به إصدار أحكام على النَّاس ، وإنَّما المقصود به تعريفهم بما غفلوا عنه من هذه الحقيقة ؛ ليتبيَّنوا هم لأنفسهم : إن كانوا مستقيمين على طريق الله كما ينبغي ، أم إنهم بعيدون عن هذا الطريق فينبغي عليهم أن يعودوا إليه .

ولقد سمعته بنفسي أكثر من مرة يقول : «نحن دعاة لسنا قضاة» إن مهمَّتنا ليست إصدار الأحكام على النَّاس ، ولكن مهمتنا تعريفهم =

(*) «في ظلال القرآن في الميزان» (ص٢٢٧) للدكتور صلاح الخالدي .

السائل : لا لم أذهب .

= بحقيقة لا إله إلا الله ، لأنَّ الناس لا يعرفون مقتضاها الحقيقي ؛ وهو التحاكم إلى شريعة الله .

كما سمعته أكثر من مرة يقول : إنَّ الحكم على النَّاس يستلزم وجود قرينة قاطعة لا تقبل الشكّ ، وهذا أمر ليس في أيدينا ، ولذلك فنحن لا نتعرَّض لقضية الحكم على النَّاس ، فضلاً عن كوننا دعوة ولسنا دولة ، دعوة مهمتها بيان الحقائق للنَّاس لا إصدار الأحكام عليهم» .

٢ ـ شهادة السيدة زينب الغزالي :

«أما الرواية الثانية ، فهي ما جاء على لسان السيدة زينب الغزالي في المقابلة التي أجرتها معها مجلة المجتمع (العدد ٥٦٥)»(*) ، وسئلت فيها : هل حقّاً أنَّ الفكر الذي كان يتبنَّاه سيد ويدرِّسه للإخوان ؛ هو تكفير أفراد المجتمع؟

فأجابت بأنَّها قالت للأستاذ سيد قطب :

«إنَّ منزلتي عند السيِّدات المسلمات تجعلهم يحترمونني احتراماً عظيماً ، ولكنَّهم مستعدُّون أن ينسفوا كلَّ هذا الاحترام إذا علموا أنني أقول عنهم أو عن أحد من أقاربهم : إنهم كفّار .

واستغربَ نفسه هذا القول ! وبيَّن أنَّ هذا فهمٌ خاطئ لما كتبَه .. وبيَّن أنه سيوضِّح هذا في الجزء الثاني للمعالم ..

إنَّ سيد لم يكن يكفِّر الأفراد ، بل كان يرى أنَّ المجتمعات ابتعدت عن الإسلام إلى درجة جعلَتْها تفقد هذه الصفة» . =

(*) نقلاً عن : «في ظلال القرآن في الميزان» (٢٢٩ ـ ٢٣٠) .

الألباني : سيد قطب مصريّ ، ويحكي ما يشاهده في

= ٣ ـ شهادة الأستاذ عمر التلمساني :

قال ـ رحمه الله ـ في كتابه «ذكريات لا مذكرات» (ص٢٨٠ ـ ٢٨١)(*) :

« . . وما أراد الشهيد الأستاذ سيد قطب في يوم من الأيام أن يكفِّر مسلماً ، لأنه من أعلم المسلمين بأنَّ رسول الله ﷺ قال في أكثر من حديث : إنّ مَن قال لا إله إلا الله مؤمناً بها قلبه لن يُخلَّد في النار . . ونحن نعلم أنه لن يُخلَّد في النّار إلا الكافرون . . .

هذه واحدة ، والثانية : أنَّ كثرة ترداده لكلمة «المجتمع الجاهلي» لم يقصِدْ بها تكفير المجتمع ، ولكن تشديدَ النّكير على الظلمة والطغاة والمستغلّين والمشكِّكين . وهو أسلوبٌ تعرفه اللّغة العربية . . .

والذين يعرفون الشهيد سيد قطب ودماثة خُلُقه ، وجَمَّ أدبه وتواضعه ، ورقة مشاعره ؛ يعرفون أنّه لا يكفِّر أحداً .

إنّه داعية إسلامي من عيون دعاة المسلمين ، ظلَمَه مَن أخذ كلامَه على غير مقاصده ، ومَن هاجموه متجنِّين ، لما رأوا من عميق تأثير كلماته وكتاباته على الشباب الطاهر النظيف» .

٤ ـ شهادة سيد قطب نفسه !

رغم أنَّ كثيرين يشكِّكون في صحة نسبة كتاب «لماذا أعدموني؟» إلى الأستاذ سيد قطب ، إلا أنني أنقل هذا الكلام المنسوب إليه في هذا =

(*) نقلاً عن : «سيد قطب» (٥٩١ ـ ٥٩٢) لصلاح الخالدي ، دار القلم .

المساجد عن السيدة زينب والبدوي . . . إلخ .

= الكتاب ؛ الذي «يُحتمل صدوره عنه»(*) ؛ قال - رحمه الله - (ص٣٦ - ٣٧) :

« . . إننا لم نكفِّر النَّاس ؛ وهذا نقلٌ مشوَّه ، إنَّما نحن نقول : إنَّهم صاروا من ناحية الجهل بحقيقة العقيدة ، وعدم تصوّر مدلولها الصحيح ، والبُعد عن الحياة الإسلامية ؛ إلى حال تشبه حال المجتمعات في الجاهلية . وإنّه من أجل هذا لا تكون نقطة البدء في الحركة في قضية إقامة النظام الإسلامي ، ولكن تكون إعادة زرع العقيدة والتربية الأخلاقية الإسلامية ، فالمسألة تتعلّق بمنهج الحركة الإسلامية أكثر مما تتعلَّق بالحكم على النَّاس» .

«ويوضح سيد قطب عدم تكفيره للأفراد في اعترافه المسجل في محضر التحقيق الذي أجراه معه صلاح نصر ونقله سامي جوهر في كتابه «الموتى يتكلمون» :

«س : هل كنتم ترون أن وجود الأمة المسلمة قد انقطع منذ مدة طويلة ولا بد من إعادتها للوجود؟

ج : لا بد من تفسير مدلول كلمة «الأمة المسلمة» التي أعنيها ؛ فالأمة المسلمة هي التي يحكم كل جانب من جوانب حياتها (الفردية والعامة ، السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية) شريعةُ الله ومنهجه . وهي بهذا الوصف غير قائمة الآن في مصر ، ولا في أي مكان في الأرض ، وإن كان هذا لا يمنع من وجود الأفراد المسلمين ؛ لأنه فيما

(*) كما قال الأستاذ محمد قطب ، انظر (ص١٠٨ - ١٠٩) من هذا الكتاب .

السائل: أفتكون كلّ المساجد في مصر هكذا؟

يتعلق بالفرد الاحتكام إلى عقيدته وخلقه، وفيما يتعلق بالأمة الاحتكام إلى نظام حياتها كله»»(*).

٥ ـ شهادة عبد الحليم خفاجي:

«ويروي الأخ عبد الحليم خفاجي في كتابه «عندما غابت الشمس» (ص٤٤٦ ـ ٤٤٧) أن فكرة التكفير نبَتت في السجون، من قِبَل بعض الشباب، وأنهم ادَّعوا نسبتها لسيد قطب، وزعموا أنه يقول بها، وهذا في حياته، فتبرأ من ذلك!

قال خفاجي: وحمّلنا الأخ إبراهيم الطناني المرحَّل إلى سجن طرة للعلاج رسائل للأستاذ سيد قطب، بتفاصيل تفكير وسلوك هؤلاء الإخوة.

فأرسل منكراً عليهم ذلك، وقال عنهم: «إنَّهم قد فهموني خطأً»!

وفي مرة ثانية قال غاضباً: «لقد وضعتُ حملي على حصان أعرج!!»»(**).

٦ ـ شهادة الأستاذ سيد نزيلي:

«وهو أحد كبار قيادات الإخوان المسلمين، وأحد قيادات تنظيم ١٩٦٥م الذين تأثروا وتربوا على أفكار سيد قطب، وما يزال متأثراً بها»؛ يقول في شهادته المنشورة على موقع (إسلام أون لاين) في تاريخ: ٢٠٠٤/٧/١٢:

«ولم يعرف عنه قبل السجن أنه يميل إلى التكفير على مستواه =

(*) نقلاً عن «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٤٣٣).

(**) انظر: «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» (ص٥٥٨).

الألباني : لا ، أنا لا أقول بالكليّة ، ولا سيد قطب يقول

= الشخصي أو الفكري ، فهو لم يتهم عامة المسلمين بالكفر ، وكان يصلي خلف الإمام العادي ، وكان يأكل ذبائح المسلمين ، ويؤثر عنه في سجنه أنه سئل : «هل أنت تكفر عامة المسلمين؟» ، فقال : «كيف أكفر عامة المسلمين ، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله ، وحبّ الدين متغلغل في وجدانهم وقلوبهم ، ثم نادى على سجين من أرباب الإجرام والمعروفين بالشراسة وسوء الخلق ، وقال له : يا فلان : إذا قابلك رجل ولعن دينك ماذا يكون موقفك؟ فقال هذا السجين : أقتله .

فاستشهد سيد قطب بذلك في أن للإسلام قدسية واحتراماً في نفوس حتى الذين يُخيَّل إلينا أنهم أبعد ما يكونون عن الإسلام بأعمالهم ، فوجدانهم ومشاعرهم متَّقدة بالإسلام .

ومن يتعمق في كتاباته يجد أنه لم تحكمه قضية التكفير ، ولم تكن هدفه وغايته التي يجند فكره لها ، بل كانت قضية الإسلام في العصر الحاضر المحارب من كل الاتجاهات ، الراغبة في اجتثاثه من جذوره ، وانتزاعه من قلوب المسلمين ، ولا شك أننا نسلم بهذه القضية ، ومن هنا كانت كتاباته للدفاع عن الإسلام ، وبعث الغيرة في نفوس أبنائه ، وبث الإيمان في قلوب الطليعة المؤمنة حتى تبقي هذا الدين حيّاً في النفوس أمام هذه الهجمات .

ونحن الجيل الذي تربى على فكر سيد قطب لم نلحظ هذه الدعاوى التي تتهمه بالتكفير ، وهو لم يطلب منا ذلك في الكتابات التي كان يرسل بها إلينا ويربينا عليها نحن جيل ١٩٦٥ ، نحن كنا نعيش بإسلامنا بين أهلينا ومجتمعنا ، ولم يخطر على بالنا أننا متميزون =

بالكليّة ، لكن هو يتكلّم بصورة عامّة .

= بأي شيء عن غيرنا من المسلمين ، اللهم إلا أننا نعتبر أنفسنا أكثر الناس غيرة على الإسلام وحدوده وثوابته ، وكنا ندعو الناس إلى ذلك ، وسيد قطب لم تكن كتاباته لانعزال هذه الفئة التي يربيها ؛ بل كان يطلب من الشباب أن يندمجوا مع المجتمع حتى يغيروا هذا المجتمع . . .

ووجد التكفير بعيداً عن «سيد قطب» ، حيث وجد التكفير بعد عام ١٩٦٥م ، وكان متغلغلاً في الجيل الذي لم يدخل الإخوان ، ولم يتأثروا بسيد قطب . . .

إن ما دخل على فكر بعض الذين يتمسحون في فكر سيد قطب هو من آثار المحنة ، وكردِ فعل على القسوة التي تعرضوا لها في السجن ، وهو ما انعكس على أحكامهم وتعاملهم مع آيات القرآن الكريم ، وبعضهم لصق ذلك زورًا بسيد قطب .

وقد انتهيت بعد لقائي بإخواني واستجلاء حقائق الأمور إلى : أننا لم نكفر مسلمًا ، ولم نعلم من الأستاذ سيد قطب أنه يأمرنا بالتكفير ، أو الانعزال عن المجتمع ، أو المفاصلة الشعورية التي يفهمها البعض خطأ بمعنى الانعزال . والذي كنا نفهمه من «المفاصلة الشعورية» هو البعد النفسي عن المسلم الذي يرتكب المعاصي والموبقات ، وهذه مسألة مطلوبة منا جميعاً ، ولكن ليس معناها أن أشعر أنني مسلم ، وأن هذا المسلم العاصي كافر ! .

ما طرأ على فكر سيد قطب في المحنة من ١٩٥٤ إلى ١٩٦٥م لا نقول إنه انقلاب على أفكاره السابقة ، ولكن أعطى لكتاباته لوناً متميزاً ، فقد لاحظ بثاقب نظره أن المشروع العلماني الذي تبنته الأنظمة الحاكمة =

السائل : لكنَّه عمَّ المجتمعات؟!!

= في البلاد الإسلامية ، من شأنه أن يفصل بين الدين والدولة ، بحيث يتسنى للدولة أن تصيغ حياة المسلمين بعيداً عن الإسلام ، وهو ما أصاب سيد قطب بنوع من القلق والخوف على الدعوة ، وهذا الأمر مؤكد ومهم في أدبيات هذه الفترة ، فليس عندنا الكنيسة المتسلطة ، وليس لدينا الذين يستعبدون الناس بذواتهم أو برامجهم ، وكما نعلم أن شعار العلمانية : «اشنقوا آخر ملك بأمعاء آخر قسيس» ، ومن هنا فإن «قطباً» استشعر خطورة الفصل العلماني بين الذين والحياة ، وكانت كتاباته تنقض هذه الأفكار ، وتربي أجيال المسلمين على الإسلام الشامل ، ويفهم من كتاباته أن عامة المسلمين ليسوا متهمين بالعلمانية ، وأنه كان يتهم الأنظمة القائمة التي تحذو حذو العلمانية الغربية . .» اهـ .

٧ ـ الأستاذ أحمد عبدالمجيد :

وهو «من الدائرة الأولى التي كانت تجالس سيد قطب ، وتأخذ منه مباشرة ، وتأثرت بأفكاره تأثراً كبيراً» ؛ يقول في شهادته المنشورة على موقع (إسلام أون لاين) في تاريخ : ٢٠٠٤/٧/١٢ :

«إن سيد قطب لم يكن من دعاة التكفير ، لأن هذا الاتجاه نشأ في سجن «مزرعة ليمان طرة» عام ١٩٦٨م وما بعدها ، على يد «شكري مصطفى» وأمثاله ، ولو كانت هذه الفكرة عند سيد قطب لكان من باب أولى أن تكون عند من تتلمذ على يديه ، ومن كان يقابله ويجالسه ، وهو ما لم يحدث ، وأحب أن أقول : إنه هو أول من قال عبارة «نحن دعاة ولسنا قضاة» ، وأذكر أنه قال لنا : «عندما تعرضون الإسلام على الناس ، اعرضوا الإسلام بوضوحه ونصاعته ، وإياكم أن تعرضوا عليهم النتائج ، =

الألباني : على كلٍّ حال . . الرَّجُل مات ، وانتقل إلى رحمة

= اتركوا للمستمع أن يستنتج موقعه في أي مرحلة هو من هذا الدين» .

فلم تكن قضية التكفير تشغل باله ، وإنما الذي كان يشغله هو قضية الدعوة ، وكشف مخططات أعداء الإسلام ، والدليل على أننا لم نعرف قضية التكفير إلا أوائل عام ١٩٦٨م عندما ذهبنا إلى سجن قنا أبلغنا الإخوان القدامى في المعتقل أن موضوع التكفير أثير حولنا في الصحف ، ولم نكن نعلم عنه شيئا منذ اعتقالنا ؛ لأننا كنا نعيش في عزلة تامة لأكثر من عامين عن العالم ، أما المرة الثانية التي سمعنا فيها عن موضوع التكفير فكان في نهاية ١٩٦٨ عندما أثير في سجن مزرعة طرة . . .

[وأما] فكرة الجاهلية ، وهذه الكلمة هي مصطلح قرآني ، وهي تعني الجهل بحقيقة الألوهية ، والجهل بما يحبه الله سبحانه ؛ من إخلاص العبادة له وحده دون شريك ، وهي ليست محددة بزمن معين أو مكان معين ﴿أفحكم الجاهلية يبغون﴾ ، ولا يعني ذلك إطلاق الحكم بالكفر على من يقع تحت الحكم الجاهلي ، وأذكر أن الشهيد «محمد هواش» كان يقول لنا ونحن في السجن الحربي : «الجاهلية كالمظلة التي تحتها أصناف شتى من الناس» ، وهذا ما فهمه الرجل القريب جداً من سيد قطب والذي عايشه في السجن عشر سنوات ، فالجاهلية ليست تحديداً لمجتمع معين» .

٨ ـ الدكتور محمود عزت :

وهو أحد أعضاء مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين في مصر ؛ يقول في شهادته المنشورة على موقع (إسلام أون لاين) في تاريخ : ٢٠٠٤/٧/١٢ : =

الله وإلى فضله ، وكما نصحتك آنفاً : لا تبحثوا في الأشخاص ،

= «أنا أحد الذين عايشوا الأستاذ سيد قطب ـ رحمه الله تعالى ـ أثناء محاكمات الإخوان أمام الفريق الدجوي عام ٦٥ ، وأورد شهادتي وبعض شهادات من عاصروه من إخواننا وأساتذتنا .

الشهادة الأولى :

قبيل انتهاء محاكمة الأستاذ سيد سنة ١٩٦٥ ، وهو داخل قفص الاتهام سأله أحد الإخوان : هل يا أستاذ قد تم البلاغ المبين الذي علينا أن نقوم به؟ فقال الأستاذ سيد : «لا ، إنكم لا تدرون ما يقال عنكم وعن الدعوة في الصحف وفى وسائل الإعلام ، وإن كنا أدَّينا بلاغاً فقد أديناه أمام من يحاكموننا على قدر ما أفسحوا لنا» .

فإذا كان الأستاذ سيد ـ رحمه الله ـ لا يعتبر نفسه ، ولا يعتبر أن إخوانه أتيحت لهم الفرصة لإبلاغ الناسِ الحقَّ ، فهل يُعقل أن يكون الأستاذ يقصد من كلامه في «الظلال» وغيره إصدار حكم على الأفراد والمجتمعات بالكفر المخرج من الملة؟!

الشهادة الثانية :

وأضيف إلى الشهادة السابقة شهادة المرشد العام الأسبق لجماعة الإخوان المسلمين الأستاذ عمر التلمساني ـ رحمه الله ـ الذي تحرى هذا الأمر وسأل الأستاذ سيداً رحمه الله سؤالاً مباشراً : هل يا أستاذ سيد أنت تحكم على الناس بالكفر؟ فأجاب : «لا» .

ونقل الأستاذ عمر ـ وكان وقتها أحد أعضاء مكتب الإرشاد المحبوسين ـ هذه الشهادة إلى الإخوان عندما كثر اللغط في السجون عن شائعة الكفر التي أشاعها بعض من كان ينزل إلى العلاج في =

خاصّة إذا كانوا انتقلوا إلى رحمة الله .

= مستشفى ليمان طرة ، حيث كان يعالَج الأستاذ سيد رحمه الله .
والشهادة الثالثة :
أن فضيلة العالم الجليل الشيخ محمد عبد الله الخطيب عضو مكتب الإرشاد في جماعة الإخوان المسلمين ، أخبرني أنه زار الأستاذ سيداً في الفترة القصيرة التي خرج فيها من السجن عام ١٩٦٤ ، حيث أعيد إليه عام ١٩٦٥ قبل استشهاده ، وأنه في هذه الفترة زاره في بيته يوم جمعة فوجده عائدًا من صلاة الجمعة ، وحكى لأحد الإخوان أنه رأى الأستاذ سيداً يصلي خلف أحد المسجونين الجنائيين في فترة محبسه .
فهل يُعقل أن الأستاذ يحكم بالكفر على عموم الأفراد والمجتمعات؟!» انتهت الشهادات .
ويطول العجب . . وتتجلّى الغرابة ، حين تقرأ ما قاله الشيخ يوسف القرضاوي - حفظه الله - في نقضه لهذه الشهادات بقوله تحت عنوان «شهود النفي في القضية» :
«ومما آلمني كثيراً دخول بعض الإخوة في هذا الميدان ، وبضاعتهم مزجاة في العلم الشرعي ، وحتى من المنطق العقلي ، وظنُّوا أنَّ الحماس ورصَّ الكلام يُغني شيئاً في القضايا العلمية الكبيرة .
لقد جاؤوا بمن يمكن أن يسمّوا (شهود النفي في القضية) ليقولوا : إنهم لقوا سيداً رحمه الله ، ولم يجدوه يكفّر المسلمين ، أو سألوه : هل تكفّر المسلمين؟ فنفى ذلك ، وقال مَن قال : يجب أن نضمّ أفعال سيد إلى أقواله حتى نكون منصفين معه .
ونسي هؤلاء ما قرَّره علماؤنا من (قواعد علميّة) تحكم الأمور =

عرعور : ألا يمكن هنا أن نقول : إنْ قصد بالجاهلية تكفير

= وتضبطها ، من هذه القواعد : أنّ المثبت مقدَّم على النافي ، وأنَّ مَن حفظَ حجّة على مَن لم يحفظ .

فإذا جاء عشرة ثقات وقالوا : لم نسمع فلاناً يشتم فلاناً ، وجاء رجل ثقة ، وقال : إنه سمعه يشتمه ، وكان من أهل العدالة والضبط ، أُخذ بقول هذا الواحد ؛ لأنه علم ما لم يعلموا ، فهم حدَّثوا بما يعلمون ، وهو حدَّث بما يعلم ، وحفظ ما لم يحفظوا ، ومن حفظ حجّة على مَن لم يحفظ .

وما ذكره الإخوة من تعارض فعل سيد مع أقواله : قد غفلوا عن أصل مهم ، وهو : أنّ الذي يحكم على العالم ويعبّر عن رأيه هو قوله لا فعله ؛ لأنه فعلُ امرئٍ غير معصوم ، فلا غرابة أن يناقض فعلُه قولَه ، وسلوكُه علمَه (!) ما دام لا عصمة له ، وقد قال بعض الأئمة :

اعمل بقولي ولا تركـــن إلى عملي

ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري» .

انتهى عن بحث نشره القرضاوي على موقع (إسلام أون لاين) .

ولا أدري كيف خفي على مثل الشيخ القرضاوي ـ حفظه الله ـ أنّ الذي نُقل عن سيد إنما هي أقوال وأقوال ، ينفي فيها عن نفسه صراحةً تهمة تكفير المسلمين؟! فكيف يقدِّم الشيخ القرضاوي فهمَه لكلام سيد قطب على قول هذا الأخير الصريح بنفي هذه التّهمة؟!

أم أنَّ الشيخ القرضاوي يقدِّم المفهوم على المنطوق؟!

فقاعدتا «المثبَت مقدَّم على النافي» و«من حفظ حجة على مَن لم يحفظ» ؛ غير واردتين هنا بتاتاً ، إلا أن يُقال : إنّ هؤلاء الذين نقلوا عن سيد قطب هذه الشهادات الصادقة ؛ حفظوا حجّة بيّنةً جليّةً ظاهرةً محكمةً مفصَّلة ، لا إبهام فيها ولا إجمال ، وإنَّ الشيخ القرضاوي لم =

هذه الأُمة فهذا ضلالٌ بعيد ، وإن قصدَ أنك ما تمرّ بشارع إلا وترى القمار وبيع الخمور والمراقص والسينمات وأزياء الكفار وسنِّ القوانين الوضعية ، إلى غير ذلك . . فإن قصدَ أنّ هذا من

= يحفظ عن سيدٍ حجّة تجاريها أو تدانيها ، وإنّما غاية ما حفظه الشيخ ـ حفظه الله ـ هو فهمه لكلام سيد الذي لا يستقيم إلا بجمع أقواله كلّها ثمّ الحكم عليها ، فالأصل هو الجمع والتوفيق لا الردّ والتفريق .

وأمّا قوله : «الذي يحكم على العالم ويعبّر عن رأيه هو قوله لا فعله» ، فهذا يصحّ أن يُقال في الأمور السلوكية والأخلاقية ، أما إذا تعارض قولُه مع فعله في المسائل العلمية ، فإنّه يُجمع بين الأمرين ، ونستفيد من فعله كقرينة تفسِّر قولَه ، أما إذا لم نتمكّن من الجمع بينهما ؛ فإن فعله يدلّ دلالةً قويّةً على أنّه قد غيَّر قوله ذاك ، وهنا يصحّ أن يُقال : «لسان الحال أبلغ من لسان المقال» ! أو أنَّ فعلَه خاصٌّ بصورة معيَّنة اضطرته أن يخرج عن الأصل .

ومثال ذلك ؛ لو قال عالمٌ بعدم جواز قيام الأحزاب الإسلامية ، وبعد فترة من الزمن قام هذا العالم نفسه بتأسيس حزبٍ إسلامي ، فنجزم ـ أو نكاد ـ أننا لو سألناه عن هذا التعارض ؛ لأجابَ بأنّه قد غيَّرَ رأيه !

ولكن يغنينا عن هذا كلِّه أنّ ما نُقل عن سيد إنّما هي أقوال لا أفعال .

وأما قوله : «لأنّه فعل امرئ غير معصوم» ؛ فهل قوله قول امرئ معصوم؟!!

وانظر للاستزادة في ردِّ تهمتي «المساجد معابد جاهلية» و«الإسلام يرفض إسلامية هذه المجتمعات» كتابَ «الكشف الجلي . .» (ص١٤١ ـ ١٥٢) لعبد القادر العزابي .

الجاهلية ، فهذا كلام لا يُنكر ، بل قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب ما هو أشدّ من هذا .

فنحنُ نفصّل ولا يهمّنا الرجل بذاته : إن كان قصد التكفير المخرج من الملّة فهذا ضلال ونأباه وأمره إلى الله ، وإن كان قَصْدُه الجاهلية التي نراها ؛ فلا تشكّ معي أن الأمر كذلك .

• الأعمال بالخواتيم

الألباني : يقول الرسول عليه السلام ـ ولو في غير هذه المناسبة ـ : «إنّما الأعمال بالخواتيم» . ما خاتمة البحث في كلام سيّد قطب أو غيره من أنّه قصد كذا أو كذا؟!

السائل : نحن نريد تحذير النّاس ؛ لأنّ مؤلّفات هذا الرّجل فاقت في طباعتها وانتشارها مؤلّفات الأئمة ، فهو ـ يا شيخ ـ عنده أخطاء عقائدية كثيرة ، ويتكلّم في عثمان[1] ، ويخرِّج . .

الألباني ـ مقاطعاً ـ : أهذا هو الجواب على سؤالي؟! . .

• رأي الألباني في كتابَي «المعالم» و«العدالة»

عرعور : هل قلتم مرةً أنّ كتابَ «معالم في الطريق» توحيدٌ كُتب بأسلوبٍ عصريٍّ؟

(١) انظر كتاب «الكشف الجلي . .» (ص٨٧ ـ ١٠٠) .

الألباني : أنا أقول : إنّ في هذا الكتاب فصلاً قيّماً جدّاً[١] عنوانه : (لا إله إلا الله منهج حياة) هذا الذي أقوله ، وأنا قلت آنفاً : الرجل ليس عالماً ، لكن له كلمات عليها نور ، وعليها علم ، كهذا الفصل من كتابه ، وأنا أعتقد أنّ كثيراً من السّلفيين لم يتبنّوا معنى هذا العنوان (لا إله إلا الله منهج حياة) .

عرعور : لقد قلتم هذا الكلام لي شخصيّاً في بيتي منذ خمس وعشرين سنة .

الألباني : ممكن ، لأنّي ما أذكر ما أقول . لكن أشهد أنّ الرّجل له كتاب «العدالة الاجتماعية»[٢] لا قيمة له إطلاقاً ،

---

(١) وللشيخ ربيع المدخلي رأيٌ آخر ؛ قال في كتابه «انقضاض الشهب السلفية» (ص١٧) :

« . . فقد وضعَ عنواناً هو «لا إله إلا الله منهج حياة» ، تكلّم عن معنى هذه الكلمة العظيمة كلام مَن يجهل معناها فعلاً ، يمزج فيه ما ورثه من فلسفة بما يفسِّره من الآيات التي ينحى فيها إلى التكفير ، مفرِّقاً بين المجتمع المسلم الذي يؤصِّل لإنشائه وبين المجتمعات الجاهلية . . .

والمتأمِّل لكلام هذا الرجل يجدُ فيه أنه لم يفهم معنى (لا إله إلا الله) حقَّ الفهم ، ولم يفهم ما ينافيها من الشرك والضلال . . .» .

(٢) قال الشيخ الألباني في موضع آخر :

«وكتاباته في «العدالة الاجتماعية» هي من أوائل تآليفه ، ولَمَّا أَلَّفه كان محض أديب وليس بعالم . .» انظره بتمامه (ص٨٥) من هذا الكتاب .

وذكر الأستاذ محمد قطب بأنَّ سيد قطب أوصى بعدم قراءته . انظر ذلك (ص١٠٨ ـ ١٠٩) .

لكن «معالم في الطريق» فيه بحوث قيّمة جداً .

• انتقاد المدخلي لردّه على سيد قطب

السائل : مررتُ بالشّيخ ربيع ، وأعطاني كتابين هديّة لكم ، وكتاباً آخر أراد أن يُقرأ عليك وهو كتاب «هكذا علّم الأنبياء»[١] . والكتابان الأولان في نقد مؤلّفات سيّد قطب ، أحدهما بعنوان : «مطاعن سيّد قطب في أصحاب رسول الله» واعتمد فيه على الطبعة السادسة[٢] عام ١٩٦٤ ، أي قبل وفاة سيد قطب بسنة .

الألباني : الله يهديه . . الله يهديه . . يا أخي ماذا يفيد هذا الكتاب[٣]؟!

---

(١) للشيخ سلمان العودة .

(٢) أي من كتاب «العدالة الاجتماعية» وهذا غير صحيح !! بل خَلَطَ بينها وبين الطبعة الخامسة ، بل كان يغلِّب الطبعة الخامسة على السادسة التي «هي طبعة منقَّحة ، حيث حذفَ منها العبارات التي أخذها عليه الآخرون ، مما فيه كلام عن عثمان ومعاوية وغيرهما . .» «سيد قطب» (ص٣٩٥) للدكتور صلاح الخالدي .

(٣) والعجيب أنّ الشيخ ـ رحمه الله ـ كتبَ معلِّقاً على كتاب الشيخ ربيع المدخلي «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» :

«كلّ ما ردَدْتَهُ على سيد قطب حقٌّ وصواب ، ومنه يتبيَّن لكلِّ قارئ مسلم على شيء من الثقافة الإسلامية أنّ سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه . =

السائل : أقصد أنّه يريدك أن تطَّلع عليهما .

والكتاب الثاني «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» يبيّن أنّ عنده أخطاءً عقائدية كثيرة ، والقصد أن يحذّر الناس من هذه الأخطاء ، خصوصاً أنّه لَمّا يشرح (لا إله إلا الله) يقول : إن المشركين لا ينازعون في هذا ، وإنّما الرسالات جاءت تعالج قضية الربوبية وليس الألوهية ، فمع أنّ النّاس

= فجزاك الله خيراً أيّها الأخ الربيع على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام» انظرها بخطّ الشيخ في كتاب «براءة علماء الأمة» (ص١٢٣) لعصام السناني .

ومع هذا الكلام القاسي حقّاً ؛ إلا إنّ الشيخ الألباني ـ كما رأيت ـ يُثني على سيد قطب رحمه الله ، ويدافع عنه ، ويفنّد انتقادات الشيخ ربيع له ضاحكاً عليها ، وواصفاً إيّاه بالرَّجل السطحي . فانتقاد الألباني للأستاذ سيد لم يمنعه من أن ينصفه ويدافع عنه ، وكذا ثناء الألباني على الشيخ المدخلي لم يمنعه من أن ينتقده ويصفه بالسطحية .

إنَّ كلمات سيد قطب ـ رحمه الله ـ ليست نصوصاً مقدَّسة لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها ، ولم يدَّع هو ذلك . كما أنّ انتقادات الشيخ ربيع للأستاذ سيد ليست وحياً منزَّلاً من السماء ، ولا هي مختومة بختم أبي بكر وعمر والسَّلف الصالح ، حتى يُعقَدَ عليها لواء الولاء والبراء ، وتُصبح فيصلاً في الحكم على منهج النَّاس .

وانظر كتاب «سيد قطب بين الغالين فيه والجافين عليه» للشيخ محمد شقرة ـ حفظه الله ـ .

يقولون عن سيِّد قطب أنّه أحسن من تكلّم في معنى (لا إله إلا الله) ، إلا أنّه يقرّر أنّ النّاس متفقون في توحيد الألوهية ، وأن موطن الخلاف هو توحيد الربوبية ، وكرّر هذا كثيراً .

الألباني : القضية بالعكس . . كيف[1]؟ . . أنت قرأت كلام سيّد قطب .

السائل : نعم ، لكن قرأته نقلاً عنه في كتاب الشيخ ربيع ، تقريباً أربع مرات في مواضع مختلفة ، ومما قاله : «فقضية الألوهية لم تكن محلّ خلاف ، وإنّما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات وهي التي تواجهها الرسالة الأخيرة . . .» إلى آخر كلامه . ثمّ إنّ الشيخ عبدالله الدويش ردَّ عليه في قوله : «إذا قامت حكومة إسلامية فإنّه يحقّ لها أن تقنّن قانوناً لتنظيم الحياة ، وأَخْذ المال من النّاس لأنّه ملكٌ للجماعة» ؛ كما يقول الاشتراكيّون ، وأشياء كثيرة يا شيخ ، وأهمّها كلامه في موسى إذ قال عنه : الفتى العصبي ، وكلام كثير جداً من هذا ، وأيضاً تأويل صفة الكلام بأنّها الإرادة ، وأيضاً قوله في القرآن بأنّه من صنعة الله[2] ؛ لما قال الله

(١) انظر شهادة الشيخ عبدالفتاح عمر (ص٩٤) من هذا الكتاب .

(٢) قال سيد قطب في كتابه «مقومات التصور الإسلامي» (ص٢٧٣) : =

سبحانه : ﴿ص﴾ قال : هذا حرفٌ من صنعة الله ، وفي سورة آل عمران : ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم

= « . . ولقد أبعدَ المعتزلة وهم ينفون الصِّفات عن الله ـ سبحانه ـ لئلا يتعدَّد القدماء ، لأنَّ هذه الصفات إن كانت قديمة كذات الله تعدَّد القدماء ! فهذا قياسٌ ذهنيٌّ بحتٌ لا يتعاملُ مع الواقع ، ولا مع المنهج القرآني . فالله ـ سبحانه ـ قد وصفَ نفسه بصفاته ، ومن هذه الصفات ما يقرِّرُ وحدانيَّته وأزليَّته وأبديَّته وإحاطته ـ سبحانه ـ بكلِّ شيء . . إلى آخر أسمائه الحسنى . . .

إنَّما تابع المعتزلة منطق أرسطو الذهني ، وتجريدات «أفلوطين» المهوّمة ! ولم يتابعوا المنهج القرآني ، وهو المنهج الإسلامي الأصيل ، وكذلك فعلوا فيما عُرفَ في تاريخ الفكر الإسلامي بعنوان : «فتنة خلق القرآن» لئلا يكون القرآن قديماً فيتعدّد القدماء ، والبحث على هذا النحو بجملته غريبٌ على الفكر الإسلامي ، وعلى المنهج الإسلامي ، فالقرآن وحي الله وكلامه وكفى . .

إن لله ـ سبحانه ـ صفاته ، أو أسماءه الحسنى ، ولكن البشر لا يملكون إدراك «كيفية» هذه الصفات ، فهو سبحانه سميع يسمع ، بصير يرى ، عليم يعلم . . ولكن البشر لا يدركون كيفية شيءٍ من ذلك بالقياس إليه سبحانه ، فالله ليس كمثله شيء ، فلا يمكن أن يدرك البشرُ إذن كيفيّات صفاته ، ولا كيفيّات أفعاله ، وليس لهم أن يقيموا شيئاً من ذلك كلّه على ما يعرفونه من أنفسهم ، أو من سواهم من خلق الله . .» .

وهذا ـ كما ترى ـ كلامٌ مُحكم لسيد قطب يردُّ فيه على المعتزلة قولهم بخلق القرآن . . ولكنَّ سمة أهل البدع التعلُّق بالمتشابه من القول !

مؤمنين﴾ ؛ قال : أي سيروا على المنهج الذي[١] . .

• كلمة في الذين يُحذرون من سيد قطب

الألباني ـ مقاطعاً ـ : وأنتَ لماذا تُكلُّ وتُتعب حافظتَك بحفظ هذه النُّصوص التي هي ليست من كلام النبوة والرسالة؟ لماذا؟ لماذا؟

السائل : أنا قرأت هذا ، ولأنّني أريد أن أطرحه عليك ؛ حاولت أن أحفظَه .

الألباني : لماذا تريد أن تطرحه عليَّ؟

السائل : حتى يحذر النّاس هذه الكتب التي يعتبرونها كتب إمام ومجدِّد ، بل بعضهم . .

الألباني ـ مقاطعاً ـ : أسألك سؤالاً : هؤلاء الذين يعتبرون هذه الكتب مراجع هدى هم سلفيُّون؟

السائل : بعضهم من غير السلفيين كالإخوان المسلمين ، وبعضهم من الأحزاب الأخرى ، وبعضهم ممن يقول بأنّه

(١) هذه التُّهم فنَّدها جميعَها الشيخ عبدالقادر منير المزدغي في كتابه «الكشف الجلي . .» فانظره ـ إن أردتَ الحقيقة ـ .

سلفيّ ، أو يقول بشكل دقيق : نحن من أهل السنّة والجماعة ، ولا يقول : سلفي .

الألباني : لا فائدة !! . .

إذا كنت لا تستطيع أن تتفاهم مع سلفيٍّ مثلك ، فكيف ستتفاهم مع الآخرين؟!

السائل : نسأل الله أن يعلّمنا ، ونستفيد منكم ، ونتعلّم منكم .

الألباني : كيف يكون التعلُّم؟

السائل : بالاستماع والإنصات .

الألباني : إذاً حينما يوجَّه إليك سؤالٌ فاجمع ذهنك ، وفكِّر في طريقة الجواب إذا كان عندك جواب . .

أنا أنصحك : لا تُشغل حافظتك الشابّة بحفظ ما لا ينفعك يقيناً ، وقد يضرّك لكن ليس يقيناً ، لا تحفظ كلام فلان وفلان ممن يغلب على ظنّك أنّهم ليسوا معنا على الصراط المستقيم ؛ لأنّك لم تكلَّف شرعاً بأن تردّ على كلّ مَن يُخطئ . .

ما رأيك في هذا الكلام؟ هل لك ملاحظة عليه؟

السائل : كلامٌ طيِّب ، لكن الملاحظة إذا كان حفظي لهذا الكلام من أجل التحذير منه؟!

الألباني : أنت الآن تحذّرنا؟!

السائل : لا .

الألباني : إذاً لماذا تطرح هذا الكلام؟!!

السائل : للتبيان .

الألباني : تُبيِّن لماذا؟!

السائل : أُبيِّن لأحذِّر .

الألباني : مَن تحذِّر؟

السائل : أنا سمعتك تقول : إنّ سيِّد قطب قال في (لا إله إلا الله) : إنّها منهج حياة . .

الألباني : ما رأيك بهذا العنوان؟

السائل : صحيح .

الألباني : الذي سمعتَهُ منِّي ما تعليقك عليه؟

السائل : أنا أعرف أنَّ كلامك صحيح ، لكن أظنّ ـ والله أعلم ـ أنّه سيُقال : لماذا تنتقدون سيد قطب . . سيِّد قطب أفضل مَن فسَّر (لا إله إلا الله) . . أما سمعتم الشيخ الألباني

قال كذا وكذا . يقولون هذا ويلبِّسون على العامّة[١] !!

الألباني : يا شيخ اتّقِ اللهَ في نفسك . . كلامُ الله ما نجا

---

(١) والعجيب أنَّ طائفة من النَّاس تُنكر على مَن يستأنس بكلام سيد قطب ، وينقل كلامه مُستشهداً به ؛ فيا للعجَب !

جاء في الشريط رقم (٦٦٦) من «سلسلة الهدى والنور» قول الشيخ علي الحلبي :

« . . حتى بعض إخواننا في محاضرة له نقلَ عن بعض هؤلاء نقولاً سلفيّة في الحقيقة ، وتؤيّد المنهج ، فقالوا له : كيف أنت تنقل عن هؤلاء ، وأعني هؤلاء الآن ليس مَن ذكرهم شيخنا مثلاً ابن حجر أو النووي ، ولكن نقل عن سيد قطب ومحمد قطب ، فقال : (كيف تنقل عن هؤلاء وهؤلاء معروفون أنهم ليسوا سلفيين ، فأنت بصفتك سلفيّاً إذا نقلتَ عنهم فكأنّك تُثني عليهم ، وبالتالي تقول للنَّاس : هؤلاء سلفيُّون ، وهذا سبيلٌ من التغرير بالناشئة من هؤلاء ، فعلَّهم يُصبحون كمثلهم في البدعة والانحراف والبعد عن الجادّة) ، فإذا رأيتم شيخنا التعليق» . فقال الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ :

«أنا لا أعتقد أنَّ هذا مقصدهم ، وثانياً لو كان هذا مقصدهم ؛ إنَّه أسلوب خاطئ في التوعية» .

وهذا الشيخ الألباني يستشهد بكلام سيد قطب في مقدمته على كتاب «مختصر العلو» للذهبي ، ويدافع عنه .

وكذا الشيخ صالح الفوزان ـ وهو من أشدّ من تكلَّم في سيد قطب ـ يستشهد في كتابه «التحقيقات المرضية في المباحث الفرضية» بأقوال للأستاذ سيد قطب رحمه الله في أكثر من موضع ، فانظرها ـ إن شئت ـ .

من مثل هذا الذي تحكيه عن النّاس . . ماذا قال الله عن اليهود والنّصارى : ﴿ولتجدنَّ أقربهم مودّةً للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى﴾ ، ففي هذه الآية لم يسوِّ الله تعالى بين اليهود والنصارى ، فهو يُثني على النصارى ثناءً عامّاً بصورة نسبيّة .

فيأتي أهل الأهواء ليتخذوا من هذه الآية ما يردّون به آيات أخرى ؛ من مثل قوله تعالى : ﴿لقد كفرَ الذين قالوا إنّ الله ثالث ثلاثة﴾ ، فأنت لماذا تهتمّ بتحريفهم آية من القرآن لتكون دليلاً على ضلالهم ، فضلاً عن أن يأخذوا كلام الألباني ومَن هو أعلى من الألباني ليؤيّدوا انحرافهم وضلالهم ، لماذا أنت ـ كما يقولون عندنا بالشام ـ (حامل السلّم بالعرض وماشي)؟ ماذا يهمّك هؤلاء؟

(وهنا يذكر الشيخ رحمه الله قصّة طويلةً وقعتَ بينه وبين الشيخ عبدالله عزام رحمه الله ؛ على إثر قرار جماعة الإخوان المسلمين مقاطعةَ مجالس الألباني ؛ وجاء فيها أنّ الشيخ الألباني سأل الدكتور عبدالله عزام :)

• كلام سيد قطب حول وحدة الوجود

ـ ما معنى هذه المقاطعة؟

ـ قال : أنت كفَّرتَ سيِّد قطب .

ـ قلت له : أين؟!

ـ قال : أنت تقول إنّه قرّر عقيدة وحدة الوجود في تفسير سورتي الحديد والإخلاص .

ـ قلت له : نعم ، نقلَ كلام الصوفيّة ، ولا يمكن أن يُفهم منه إلا أنّه يقول بوحدة الوجود[1] ، لكن نحن من قاعدتنا أنّنا

---

(١) بل يمكن جداً !! وخاصة أنّ لسيِّد قطب ـ رحمه الله ـ كلاماً صريحاً ينفي فيه فكرة وحدة الوجود ، يقول ـ رحمه الله ـ في «الظلال» (١٠٦/١) :

« . . والنظرية الإسلامية أنّ الخلق غير الخالق ، وأنّ الخالق ليس كمثله شيء ، ومن هنا تنتفي من التصوّر الإسلامي فكرة «وحدة الوجود» ؛ على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح ، أي بمعنى أنّ الوجود وخالقه وحدة واحدة ، أو أنّ الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أنّ الوجود هو الصورة المرئية لموجده ، أو على أيّ نحو من أنحاء التصوّر على هذا الأساس .

والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر : وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة ، ووحدة ناموسه الذي يسير به ، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربِّه في عبادة وخشوع : ﴿بل له ما في السموات والأرض كلٌّ له قانتون﴾» .

وقد حدثني الشيخ عبدالفتاح عمر ـ وهو أحد تلاميذ الألباني ـ كما في شهادته المنشورة (ص٩١ ـ ٩٢) من هذا الكتاب ؛ أنّه قرأ هذا النصّ على الشيخ الألباني ، وأنّه ـ رحمه الله ـ ارتضاه . كما ذكر الشيخ عبدالفتاح أنّ الشيخ كان قد اعتذر لسيِّد قطب بأنه أديب ، وقد يكون أخذه الخيال الأدبي فصدر عنه ما صدر . =

لا نكفّر إنساناً ولو وقع بالكفر إلا بعد إقامة الحجّة . .

= فالشيخ الألباني - مع ذلك - يعتذر له ، ويُقرّر أنه لم يقصد القول بوحدة الوجود ، ولم يعقد قلبه على ذلك . قال - رحمه الله - في الشريط رقم (٦٦٦) من «سلسلة الهدى والنور» :

«إذاً ، ما ينبغي أن نتصوَّر أنّ سيِّد قطب وقع في وحدة الوجود مثلاً كما نحن نعتقده ؛ أنّه قاصدها وعقدَ القلب عليها مثل ابن عربي هذا الذي أضلّ ملايين من المسلمين الصوفيين إلى آخره ، ربما هذه سانحة فكرية صوفية وهو سجين خطرت في باله وما أحاط بالمسألة علماً ؛ والتي كنت أنا من أول من اعتقدها ، ما نحكم عليه بالكفر ، لأننا ما ندري انعقد الكفر في قلبه ، ثم هل أقيمت الحجة عليه وبخاصة وهو في سجنه ، أنّى له ذلك؟!

لهذا لا نربط بين كون المسلم وقع في الكفر وبين كونه هو كافر» .

وسئل الشيخ ابن باز رحمه الله - كما في شريط له منشور على الموقع الذهبي للإسلام - :

(شيخي أنا طالب علم أريد قول سماحتكم في تفسير سيد قطب من حيث العقيدة ، وخاصة سورة الإخلاص وسورة المجادلة ، وقوله تعالى : ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة . . .﴾ إلى آخره) .

فأجاب - رحمه الله - : «ما قرأت تفسير سيد قطب إنما قرأت شيئاً منه ، والتفسير عظيم ومفيد ، ولكنه لا يخلو من أخطاء ومن أغلاط ، ولكني لا أذكر الآن شيئاً يتعلّق بما سألت عنه ، يحتاج إلى المراجعة ، فتراجعني - إن شاء الله - بعد يومين أو ثلاث حتى نفيدك» .

ثمّ في شريط آخر يردُّ الشيخ ابن باز هذه التهمة عن الأستاذ سيد =

* ففتح عبدالله عزام كتاب «في ظلال القرآن» ليريَني بأن

= قطب ـ رحمه الله ـ ، فقد قال ـ معلّقاً على تفسير سيد قطب لسورة الإخلاص ـ حيث قال له السائل : (ما فيها دلالة على أحدية الوجود؟) :

«لا ، مراده : الله موجد الأشياء ، ما قال : ما هنا وجود إلا هو ، بل هو موجد الأشياء وهو الخالق لها ، عبارات يعني توهم بعض الناس» ، وقال :

«كلامه موهم ، يوهم وحدة الوجود ، ما هو مراده؟ مراده أنّ الله هو الوجود الحقيقي الذي به وُجدَت الأشياء ، وبه خُلقت الأشياء . .» .

نقلاً عن كتاب «براءة علماء الأمة» (حاشية ٢٣ ص٤٠) لعصام بن عبدالله السناني الذي علّق على كلام الشيخ بقوله :

«ولو قُرئ على سماحته النصُّ الأول الذي نقل فيه نفي الوجود عمّا سوى الله وارتضاه ؛ لَمَا توقَّف في دلالتها عليه» !!! (يقصد كلامه في تفسير سورة الحديد) .

ولم يقُلْ ـ هداه الله ـ :

ولو قُرئَ على سماحته النصُّ الذي ينفي فيه سيد قطب وحدةَ الوجود صراحةً ؛ لازداد تمسُّكاً بموقفه ، وثباتاً على رأيه !!

وأما الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ فقد أجاب عن أسئلة تتعلّق بهذا الموضوع ؛ على النحو التالي :

* ما رأيكم في كتاب سيد قطب «في ظلال القرآن» مع العلم أنّ في هذا الكتاب عقيدة وحدة الوجود؟

ـ «هذه دعوى أن في الكتاب عقيدة وحدة الوجود ، لأنّه هذا لو ثبت =

الرجل يؤمن بالله ورسوله وبالتوحيد . . . إلخ .

= لكان من أعظم الكفر ، لكن نقول لهذا القائل المدعي : هات البينة على ما قلت أن هذا الكتاب فيه القول بوحدة الوجود ، أو تقرير وحدة الوجود .

الكتاب على كل حال أنا لم أقرأه ، لكن قرأت بعض المؤاخذات عليه من بعض علمائنا الأفاضل ، وهو في بعض المباحث له مباحث جيدة حسب ما نسمع من بعض الإخوان ، وفي بعض الأشياء له أخطاء . وقد قال ابن رجب رحمه الله ـ وهو من علماء الحنابلة من تلاميذ ابن القيم ـ قال في كتابه «القواعد الفقهية» : «يأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه» هذا المنصف . . مَن يَسْلَمُ من الخطأ؟ «كل بني آدم خطّاء وخير الخطائين التوابون» الرجاعون إلى الحق ، فالكتاب فيه أخطاء وفيه صواب ، فنقبل الصواب ونردّ الخطأ .

* تفسيره سورة ﴿قل هو الله أحد﴾؟

– أنا قلت ما قرأت الكتاب ، لكن أعطنا إياه الآن ننظر . . على كلّ حال لا نقول شيئاً ، حتى نشهد بأعيننا ، لأنها مسألة خطيرة جداً ، وأنا أقول لكم : إذا صدر من عالم معروف بالنّصح للأمّة ، إذا صدر منه ما يوهم الحقّ وما يوهم الباطل فاحمله على أحسن المحملين .

* في العقيدة يا شيخ؟

ـ عقيدة وغير عقيدة ، ما دام عُرف بالنصح للأمة وكلامه محتمل ، ليس بصريح ، نحمله على أحسن المحملين اعتباراً بحال الرجل ، وأنا أقول لكم بالمناسبة : يوجد الآن أناس ـ نسأل الله لنا ولهم الهداية ـ =

ـ قلنا له : نحن ما أنكرنا هذا الحقَّ الذي يقوله ، لكنّنا

= يتتبّعون السيّئات من العلماء ثمّ يُبرزونها ويسكتون عن الحسنات التي هي أضعاف أضعاف هذه السيئات ، وهذا خطأ ، العقيدة بارك الله فيك كغيرها من حيث أنه قد يقع فيها خطأ ، ألم تعلم أن العلماء اختلفوا في أبدية النار : هل هي مؤبّدة أم غير مؤبّدة ، من السلف والخلف ، وهذه عقيدة أم غير عقيدة؟ أسألك . . عقيدة واختلفوا فيها .

الصراط الذي يوضع على جهنم هل هو صراط طريق كغيره من الطرق ، أم أنّه أدقّ من الشعر وأحدّ من السيف؟

الذي يوزن يوم القيامة هل هو الأعمال أو صاحب العمل أو صحائف الأعمال؟

أنا أقول لكم الخلاف . .

هل رأى الرسول ربَّه أم لم يره؟

هل تُعاد الروح إلى البدن في القبر ويكون عذابها على البدن والروح أو على الروح وحدها؟

كل هذه مسائل عقيدة . .» (عن شريط للشيخ ـ رحمه الله ـ منشور على الموقع الذهبي للإسلام) .

ثمَّ اطَّلع الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ على تفسير سيد قطب لسورة الإخلاص ؛ فقال ـ كما في كتاب «براءة علماء الأمة» ـ :

« . . ولم أطّلع على هذا الكتاب بكامله ، وإنّما قرأتُ تفسيره لسورة الإخلاص ، وقد قال قولاً عظيماً فيها ، مخالفاً لما عليه أهل السنّة والجماعة ، حيث إنّ تفسيره لها يدلّ على أنّه يقول بوحدة الوجود» .

وصريح كلام الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ أنّه لم يطّلع على =

أنكرنا هذا الباطلَ الذي قاله . . .

= تصريح سيد قطب بنفي وحدة الوجود في «الظلال» وفي «مقومات التصوّر الإسلامي» ، وحُسن الظنّ به ـ وهو المعروف بعدله وإنصافه ـ يجعلنا نقول : لو اطّلع الشيخ على تلك المواضع لكان له رأيٌ آخر . والله تعالى أعلم .

ولكنّنا إذا أردنا أن نطبّق القاعدة التي قرّرها الشيخ ابن عثيمين ـ رحمه الله ـ من حَمْل الكلام على أحسن المحامل ؛ لقُلْنا كما قال الشيخ بكر أبو زيد ـ شافاه الله وعافاه ـ في «خطابه الذهبي» ـ المثبت في ملاحق هذا الكتاب ـ ؛ حيث قال ـ مخاطباً الشيخ المدخلي ـ :

«ومن العناوين الاستفزازية قولُكم : «قولُ سيد قطب بوحدة الوجود . .» !!

إنَّ سيداً ـ رحمه الله تعالى ـ قال كلاماً متشابهاً ، حَلَّقَ فيه بالأُسلوب ، في تفسير سورتي الحديد والإخلاص ، وقد اعتُمد عليه بنسبة القول بوحدة الوجود إليه !

وأحسنتُم حينما نقلتُم قولَه في تفسير سورة البقرة ، من ردِّه الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود ، ومنه قولُه : «ومن هنا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود» .

وأزيدكم : إنَّ في كتابه «مقومات التصوّر الإسلامي» ردّاً شافياً على القائلين بوحدة الوجود .

لهذا ؛ فنحنُ نقول : غفرَ اللهُ لسيّد كلامَه المتشابه الذي جَنَحَ فيه بأسلوب وَسَّعَ فيه العبارة ، والمتشابهُ لا يُقاومُ النصَّ الصريح القاطع من كلامه . =

• نصيحة ذهبية

الشاهد أننا نقول هذا ونقول هذا ، فالذي يأخذ أنّ الألباني

= لهذا أرجو المبادرة إلى شطب هذا التكفير الضمني لسيّد - رحمه الله تعالى - وإنّي مشفقٌ عليكم» .

وكذا ما قاله الشيخ محمد قطب - حفظه الله - في تقديمه لكتاب شقيقه سيد قطب «مقومات التصور الإسلامي» (ص٨ - ٩) ؛ حيث قال :

«حقيقة إنّ هناك في (الظلال) عبارات موهمة ، توهمُ مَن يأخذها وحدَها أنّها مما يستخدمه أصحاب «وحدة الوجود» . ولكن الباحث المنصف حين يجد في (الظلال) في أكثر من مائة موضع عبارات صريحة حاسمة تقطع بإيمان كاتبها أنّ الله غير مخلوقاته ، وأنّه لا مجال للخلط بين الخالق والمخلوق في صفة واحدة من الصفات ، ولا فعل من الأفعال ، فإنّه ينبغي أن يحمل تلك العبارات الموهمة على العبارات الحاسمة القاطعة ، فيزول ما بها من إيهام . . .

كذلك الشأن في العبارات الموهمة التي وردت في (الظلال) في تفسير سورة الحديد وسورة الإخلاص . . ينبغي أن تُؤَوَّل على مقتضى العبارات الحاسمة الواردة في الكتاب نفسه ، بما ينفي ما يمكن أن توحي به من إيهام بوحدة الوجود» .

ثمَّ نقل نصَّين حاسمين في هذه القضية من كتاب «مقومات التصوّر الإسلامي» ؛ وهو آخر ما كتبه الشهيد سيد رحمه الله ، فانظرهما هناك .

وانظر ردَّ هذه التُّهمة في «الكشف الجلي . .» (ص١٩٦ - ٢٣١) ، وكذا كتاب «عملاق الفكر الإسلامي» للدكتور عبدالله عزام رحمه الله ، وكتاب «في ظلال القرآن في الميزان» للدكتور صلاح الخالدي .

كَفَّر سيِّد قطب مثل الذي يأخذ أنّ الألباني أثنى على سيّد قطب في مكان معيَّن ، هؤلاء أهل الأهواء لا سبيل لنا أن نقف في طريقهم إلا أن ندعو لهم فقط ، ﴿أفأنتَ تُكرهُ النّاس حتى يكونوا مؤمنين﴾ .

لذلك ؛ هذه الحرارة التي عندك اجعَلْها في تعلُّم مذهب أهل السنّة والدعوة إلى السنّة ونشرها بين صفوف الأُمّة ، ولا تَكُنْ سبباً في عداوة شخصية بينك وبين أُناسٍ ، لا سيّما إذا ما قَدِمُوا إلى ما قَدَّموا من عمل صالحٍ أو طالح . . .

قصدي لا تشغلْ نفسَكَ بأفراد النَّاس . . هذا بابٌ لا ينتهي .

* * *

عرعور : . . . ثناءُ الشيخ أو أيّ عالم من العلماء على فلان ، لا يعني أنّه يؤيّد مذهبه ، وفي الوقت نفسه لا يعني القول إنّ فلاناً أخطأ بكذا أو كذا التضليل ، وكما قال شيخ الإسلام : ما من قولٍ إلا وفيه طرفان ووسط . فلا يَكُنْ جدالكم في الرَّجُل ، إنّما يكون في العلم وطلب العلم والنقاش العلميّ ؛ لعلّ الله سبحانه وتعالى يكتب الهداية . والشيخ لا يعني أنّه

يحثّ على قراءة كتب سيّد قطب ، لا[1] ، وإنّما يحثّ على طلب العلم المبنيّ على الكتاب والسنّة وأقوال السلف الصالح .

قول الشيخ أن هذا الكلام في «معالم في الطريق» كلام جيّد لا يعني أنّه جعل سيّد قطب مثل ابن كثير ، بل يصرّح أنّه ليس بعالم ، فهذه النّقطة يجب أن نُدركها ، ولا يعني إذا أخطأ خطأً أو اثنين أو ثلاثة أن لا نذكرَ له ولا حسنة ، وكما ذكر شيخنا أنّ الله عز وجلّ أثنى على النصارى في أكثر من موضع ، فالصواب والحقّ أن على الإخوة كذلك أن يتّكؤوا على تلك الكتب التي لا تُعطي علماً ، كما يسمّونها كتب الثقافة ،

---

(١) مع أنّ الشيخ الألباني أثنى على فصلٍ من كتاب «معالم في الطريق» وقال بأن لسيّد كلاماً عليه نور وعليه علم ومن الإلهام ؛ ومع أن الشيخ عدنان عرعور نفسه نقل عن الألبانيّ قوله بأنّ كتاب «المعالم» (توحيدٌ كُتب بأسلوب عصريّ) ؛ إلا أنّه يضرب بكلّ هذا عُرضَ الحائط ، وتكون النتيجة أن الشيخ الألبانيّ لا ينصح بقراءة كتب سيد قطب !! «إنّ هذا لشيءٌ عُجاب» !!

مع العلم أنّ الشيخ عدنان عرعور يقرأ لسيد قطب ويستشهد بأقواله في كتاباته ، بل يحضُّ على قراءة كتبه ، مما جعل الشيخ ربيع ينقم عليه ؛ بحجة أنّه يستشهد بأقوال أهل البدع ؛ مقرّاً منهجَهم .

انظر : «انقضاض الشهب السلفية على أوكار عدنان الخلفية» للشيخ ربيع المدخلي .

بل عليهم الرجوع إلى كتب التأصيل بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وشروحها، وكتب العلماء كشيخ الإسلام وتلاميذه وكتب الشاطبي إلى غير ذلك.

الألباني : ذكّرتني بكلمة الشاطبي . . .

(وهنا يستطرد الشيخ طويلاً في الحديث عن البدعة وأقسامها، وينتهي الحديث عن سيّد قطب رحمه الله . .).

❊ ❊ ❊

الشريط الثاني

• التعليق على قول سيد: القرآن ظاهرة كونية

السائل: السؤال الأول ـ: ذكر صاحب كتاب «في ظلال القرآن» في أول سورة طه بأنّ «القرآن ظاهرة كونيّة كالأرض والسموات»[١]، فما رأيكم في هذا الكلام؟

الألباني: نحن ـ يا أخي ـ قلنا أكثر من مرة بأن سيّد قطب ليس عالماً، وإنّما هو رجل أديب كاتب، وهو لا يحسن التعبير عن العقائد الشرعية الإسلامية وبخاصّة منها العقائد السلفيّة، ولذلك فلا ينبغي أن ندندن حول كلماته كثيراً، لأنّه لم يكن عالماً بالمعنى الذي نحن نريده، عالماً بالكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح، وهو في كثير من تعابيره يعني تعابير إنشائية بلاغية، وليست تعابير علمية وبخاصة تعابير سلفيّة، ليست من هذا الباب إطلاقاً.

فنحن لا نتردّد باستنكار مثل هذا التعبير وهذا التشبيه، أقل ما يقال فيه إنه لا يعني أنه كلام الله حقيقة كما هو عقيدة أهل السنة والجماعة، أو أنه كلام الله مجازاً كما هو عقيدة

---

(١) «في ظلال القرآن» (٢٣٢٨/٤).

المعتزلة ، كلام خطابي شاعري ، لكن أنا لا أرى أن نقف كثيراً عند مثل هذا الكلام ، إلا بأن نبيّن أنه كلام غير سائغ شرعاً ، وأنه غير معبّر عن عقيدة الكاتب في القرآن الكريم : هل هو كلام الله حقيقة أم لا ، هذا الذي أعتقده ، وهذا هو الجواب عن السؤال الأول .

• التعليق على وصفه للآيات بالإيقاع الموسيقي

السائل : السؤال الثاني : من نفس الكتاب وهو في مقدمة سورة النبأ ، قال عن القرآن وكلمات القرآن «أنه تموجات موسيقية»[1]؟

الألباني ـ ضاحكاً ـ : نفس الجواب . . ماذا فهمت أنت من قوله : «تموجات» هل هو يعني الكلام الصادر [من الله] ، أم هو من جبريل عليه السلام ، أم من نبيّنا الكريم ، ما تفهم لا هذا ولا هذا ولا هذا ، ولذلك أنا أقول : كلام خطابي شعري لا يُنْبي عن رأي الكاتب وماذا يعنيه ، هذا ـ الحقيقة ـ أكثر الكتّاب عندما يكتبون ؛ يكتبون عبارات إنشائية خطابية لا تعطي حقائق كونية واقعية .

---

(١) لم أجد هذه الكلمة في «الظلال» ، ولعلّه أراد كلمة «الإيقاع الموسيقي» الموجودة فيه (٦/٣٨٠٢) .

• التأثر بمنهج سيد قطب

السائل : مع قولكم هذا ـ بارك الله فيكم ـ نرى كثيراً من الكتاب أو من طلاب العلم الذين تأثّروا بمنهج المحدّثين ، أو لهم جهود في علم الحديث ، تأثّروا بمنهجه؟

الألباني : وما هو منهجه؟ وهل له منهج؟

السائل : نعم .

الألباني : ما هو؟

السائل : هو التأثّر بكتابات أبو الأعلى المودودي ، خاصة في كتابه «العدالة الاجتماعية» ، وكتابه «التصوير الفني في القرآن» .

الألباني : هذا أسلوب أدبي ، ليس أسلوباً علمياً .

السائل : له منهج خاصة في تجهيل الأمة وتكفيرها ؛ خاصة في كتاب «العدالة الاجتماعية» ، وذكر عنه صاحب كتاب «الأعلام»[1] الزركلي أنه اتخذ هذا المنهج وهو تجهيل

---

(١) لم يقل الزركلي هذا الكلام ، وإنّما نقل عن خالد محيي الدين (أحد أقطاب الثورة ! المصريّة !) قوله : «كان سيد قطب قبل الثورة من أكثر المفكّرين الإسلاميين وضوحاً ، ومن العجيب أنّه انقلب بعد قيام الثورة ناقماً متمرّداً على كل ما يحدث حوله ولا يراه إلا جاهلية مظلمة» . ونقل أيضاً عن علال الفاسي قوله : «ما كان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب» . انظر «الأعلام» (١٤٨/٣) .

الأمة بكاملها ، فتأثّر بهذا المنهج كثير من الشباب ؛ فأصبحوا يدعون إلى كتبه ويدعون إلى آرائه وإلى جميع ما كتبه . فما رأيكم؟

• لا يجوز تكفير سيد قطب

الألباني : رأيي أن الرجل غير عالم وانتهى الأمر . ماذا تريد أكثر من هذا . إن كنتَ تطمع أن نكفّره فلست من المكفّرين ولا أنت أيضاً من المكفّرين .

يكفي المسلم المنصف المتجرّد أن يعطي كلَّ ذي حقٍّ حقَّه ، وكما قال تعالى : ﴿ولا تبخسوا النَّاسَ أشياءهم ولا تعثَوْا في الأرضِ مُفْسدين﴾ .

• كتاب «العدالة الاجتماعية» من أوائل ما ألّف سيد قطب، وله كتابات أخرى كُتبت بقلم سلفيّ

الرجل كاتب ومتحمّس للإسلام الذي يفهمه ، لكن الرجل أولاً ليس بعالم ، وكتاباته في «العدالة الاجتماعية» هي من أوائل تآليفه ، ولَمّا ألّفه كان محض أديب وليس بعالم ، لكن الحقيقة أنه في السجن تطوّر كثيراً وكتب بعض الكتابات كأنّها بقلم سلفيٍّ وليست منه[1] ، لكن أنا أعتقد أنّ السجن

(١) انظر (ص٤٤) من هذا الكتاب/الحاشية .

يربّي بعض النفوس ، ويوقظ بعض الضمائر ، يكفي أنّه هو الذي يقول : «لا إله إلا الله منهج حياة» ، لكن إذا كان هو لا يفرّق بين توحيد الألوهية وبين توحيد الربوبية ، **هذا لا يعني** أنّه لا يفهم توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية ، وأنه يجعلهما شيئاً واحداً ، لكن يعني أنه ليس فقيهاً وليس عالماً ، وأنه لا يستطيع أن يعبّر عن المعاني الشرعية[1] التي جاءت في الكتاب والسنة ، وأنّه لم يكن عالماً .

• الردّ على المخالف يكون بهدوء

السائل : هل ترى مع هذا التأثر به ، وهذه الأمور التي كتبها ، أن يُردّ عليه مثلاً؟

الألباني : نعم يُردّ عليه ، ولكن بهدوء وليس بحماس . يُردّ عليه وهذا واجب ، ليس الردّ على المخطئ مقصوراً بشخص

---

(١) أشار الدكتور صلاح الخالدي إلى أنَّ للمودودي وسيد قطب اصطلاحٌ خاصٌ في تعريف الألوهية والربوبية ، و أنّه لا مشاحة في الاصطلاح . انظر : «في ظلال القرآن في الميزان» (ص١٥١ ـ ١٧٠) .

وتحرير المصطلح عندهما بحاجة عندي إلى مزيد بحثٍ وتمعُّن .

ومن الظلم وَصْف الألباني لسيد قطب بأنّه «لا يستطيع أن يعبِّر عن المعاني الشرعيَّة . .» ؛ لأنَّ الذي يقرأ كتب سيد ـ خاصة «الظلال» و«المعالم» و«المقومات» ـ بعمقٍ ورويَّة يستهجنُ هذا الحكم ويستغربه !!

أو أشخاص ، كلّ مَن أخطأ في توجيه الإسلام بمفاهيم مبتدعة وحديثة ولا أصول لها في الكتاب ولا في السنة ولا في سلفنا الصالح والأئمة الأربعة المتَّبعين ، فهذا ينبغي أن يُردّ عليه .

لكن هذا لا يعني أن نُعاديه ، وأن ننسى أن له شيئاً من الحسنات ، يكفي أنّه رجل مسلم ، وكاتب إسلامي على حسب مفهومه للإسلام ـ كما قلت أولاً ـ ، وأنه قُتل في سبيل دعوته للإسلام ، وأنّ الذين قتلوه هم أعداء الإسلام .

• سيد قطب كان غيوراً على الإسلام

أما أنّه كان منحرفاً في كثير أو قليل عن الإسلام ؛ فأنا في اعتقادي قبل أن تثور هذه الثورة ضدّه أنّني قُوطعتُ من جماعة الإخوان المسلمين هنا بزعم أنني كفّرت سيد قطب ، وأنني دلّلْتُ بعضَ الناس بأنه يقول بوحدة الوجود في بعض كتاباته في نفس التفسير[1] ، لكن في الوقت نفسه أنا لا أُنكر عليه أنّه كان مسلماً ، وأنّه كان غيوراً على الإسلام وعلى الشباب المسلم ، وأنّه يريد إقامة الإسلام ودولة الإسلام ، لكن الحقيقة

أوردها سعد وسعد مشتمل
ما هكذا ـ يا سعدُ ـ توردُ الإبل

---

(١) انظر (ص٧١ ـ ٧٧) من هذا الكتاب .

• حكم التحذير من كتب سيد قطب

السائل: هل يُحذَّر من كتبه؟

الألباني: يُحذَّر ممن يُحذّر[١] مِنْ كتبه مِنَ الذين لا ثقافةَ إسلامية صحيحة عندهم.

* * *

(١) هذه الكلمة أشكلَتْ عليَّ ولم أستطع تمييزها جيّداً؛ أهي (يُحذِّر) بالكسر، أم (يحذَّر) بالفتح؟!

آراء وشهادات بعض العلماء والدعاة في الشهيد سيد قطب

١ - شهادة الشيخ عبدالفتاح عمر

٢ - كلمة الأستاذ محبّ الدين الخطيب

٣ - موقف العلامة عبدالعزيز بن باز

٤ - كلمة العلامة عبدالرحمن الدوسري

٥ - فتوى الشيخ عبدالله الجبرين

٦ - الخطاب الذهبي للشيخ بكر أبو زيد

٧ - شهادة الأستاذ محمد قطب

٨ - رأي الشيخ حمود الشعيبي

٩ - رأي الشيخ سلمان العودة

١٠ - رأي الشيخ عمر الأشقر

١١ - رأي الشيخ محمد حسان



شهادة الشيخ عبد الفتاح عمر(١)

التقيتُ بالأخ المهندس أحمد قطيش الأزايدة ـ رحمه الله ـ في الزرقاء ، وكنا من الإخوان المسلمين ، فاستوقفني وقال لي : إذا طُلبَ منك أن تمتنع من حضور دروس الشيخ الألباني ؛ فما هو موقفك؟ وجرى حديث حول ذلك . ثم أخبرني أنّ من مبرّرات طلبه هذا أنّ الشيخ الألباني يتّهم سيد قطب بالقول بوحدة الوجود .

وبعد ذلك ؛ استفسرت عن هذا الأمر الذي لم أكن أعلم به من قبل ، فتبيّن لي أنّ مجلساً عُقد في بيت صهر الشيخ نظام سكجها ضمّ بعض الإخوة ؛ ومنهم الأستاذ محمد رأفت ، وجرى حديث من قِبَل الشيخ حول وحدة الوجود ، فما كان من الأستاذ محمد رأفت إلا أن قال : «سيد قطب يقول بمثل هذا» ! فاستهجنَ الشيخ ذلك ، وطلبَ من الأخ نظام أن يأتيه بـ «الظلال» إن وُجد ، فجاء نظام بـ «الظلال» ، وقرأوا كلام سيد في سورتي الحديد والإخلاص ، فقال الشيخ : نعم ؛ هذا فيه معنى وحدة الوجود ، إلا أنّ الشيخ حاول أن يعتذر لسيد بأنّه أديب وقد يكون أخذه الخيال الأدبي فصدرَ منه ما صدر .

هذه الحادثة تبيّن أنّ الشيخ رحمه الله لم يكن يتتبّع عورات سيد ، بل كان يحسن الظنَّ به ، والذي أعرفه أنّه كان يحبّ سيّداً رحمه الله ، وأذكرُ أنّه نصحَني بقراءة كتابه العظيم «معالم في الطريق» .

---

(١) وهو من أوائل تلاميذ الشيخ الألباني في الأردن ، وقدّمت شهادته لأنّها تتعلّق برأي الألباني . وقد أملاها عليَّ ـ حفظه الله ـ بتاريخ ٢٠٠٤/٩/١٤م .

ثمّ مضى وقتٌ وجرت حوادث منها بعض المقالات التي نُشرت في مجلة المجتمع من قِبَل عبدالله عزام وغيره ، وتلاقف هذه القضية بعض ذوي الأهواء ليضخّموا أمرها . .

وبعد ذلك أطلعني أحد الإخوة الأفاضل ؛ وهو الشيخ عبدالله ملّوح على نصٍّ في «الظلال» قاطع في المسألة ، محكم ؛ ألا وهو قوله ـ رحمه الله ـ :

« . . والنظرية الإسلامية أنّ الخلق غير الخالق ، وأنّ الخالق ليس كمثله شيء ، ومن هنا تنتفي من التصوّر الإسلامي فكرة «وحدة الوجود» ؛ على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح ، أي بمعنى أنّ الوجود وخالقه وحدة واحدة ، أو أنّ الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أنّ الوجود هو الصورة المرئية لموجده ، أو على أيّ نحو من أنحاء التصوّر على هذا الأساس .

والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر : وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة ، ووحدة ناموسه الذي يسير به ، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربّه في عبادة وخشوع : ﴿بل له ما في السموات والأرض كلٌّ له قانتون﴾» «الظلال» (١/١٠٦)[١] .

فهذا الكلام المحكم ينفي بشكلٍ واضح عن سيد هذه التهمة ، ويفسّر المتشابه من قوله في سورتي الحديد والإخلاص ، فأطلعتُ الشيخ الألباني رحمه الله على هذا الكلام ، وقرأته عليه ، وارتضاه .

وأما ما أُثيرَ في أبحاث هذا الكتاب : هل سيد قطب عالمٌ أم لا؟! وكان جواب الشيخ الألباني النفيَ ، وبعض من سُجِّلَتْ شهاداتهم وآخرون قالوا بأنّه عالم ، فأقول :

(١) وانظر أيضاً : «مقومات التصور الإسلامي» (ص٢٣٩ ـ ٢٤٢) .

للإجابة على هذا السؤال لا بد من معرفة مَن هو العالم ، فإن كان المقصود به العالم بكلٍّ علوم الشريعة ؛ فسيد ليس كذلك ، بل ومعظم الذين يُقال عنهم علماء ليسوا كذلك أيضاً .

وإنْ كان العالم هو الذي يُتقنُ علماً من علوم الشريعة ؛ فلا شكَّ أن سيد قطب عالمٌ ، فهو عالمٌ باللّغة ؛ بلاغةً ونحواً وصرفاً وبياناً ونقداً ، فهو الأديب الشاعر الناقد ، وهو عالمٌ بكتاب الله تبارك وتعالى ، وكتابه «الظلال» يشهد على ذلك ، وأنا قد قرأتُ «الظلال» إلى نهاية سورة يوسف عليه السلام ، وقرأتُ معه ـ دراسةً ومقارنةً ـ أكثر من خمسة عشر كتاب تفسير ، وأحياناً قد يصلُ إلى ثلاثة وعشرين كتاباً ، فكنت أقرأ تفسير الآيات من هذه الكتب جميعها ومنها «الظلال» ، فوجدتُ أنّ سيداً رحمه الله ـ مقارنةً مع كتب التفسير الأخرى ـ لا يقلّ عنها فهماً وبحثاً ودرساً ومقارنةً ، وتبيَّن لي أنّه عندما يختارُ قولاً من الأقوال في التفسير فإنَّه يختاره عن دراسةٍ وتمحيص ، ولكن تغيبُ هذه الحقيقة عن بعض قارئي «الظلال» لأنَّه يستخدم الأسلوب الأدبي (السهل الممتنع) ، فيظنُّون أنه صياغةٌ أدبيةٌ لا علاقة لها بالتفسير ، والحقيقة ليست كذلك ، فهو مطَّلعٌ على تفسير ابن كثير والقرطبي ومحمد رشيد رضا ودروزة والزمخشري ، وغيرها من الكتب ، ويناقش صاحبي «المنار» و«التفسير الحديث» في بعض القضايا مناقشةَ العالمِ البصيرِ المطّلعِ ، فإذا كان المفسِّرُ لكتاب الله ليس عالماً ؛ فلا أدري مَن هو العالم؟!

والمطَّلعُ أيضاً على كتابي «المعالم» و«خصائص التصور الإسلامي ومقوماته» (بجزأيه) يعلم أنَّ الأستاذ سيد رحمه الله يفقهُ عقيدةَ الإسلام فقهاً واسعاً شمولياً من خلال كتاب الله تبارك وتعالى .

أمَّا أنَّه ـ كما يقول البعض ـ أخطأ في كذا وكذا ، فالخطأ نسبيٌّ ، فهو أخطأ عندك وأصاب عند غيرك ، فهل نزعتم صفة العلم عن كلِّ العلماء المخالفين لشيخنا الألباني وبقية العلماء المشايخ من السلفيين المعاصرين أو غيرهم؟! فهل ننزع صفة العلم عن محمود شلتوت ومحمد أبو زهرة وعبدالوهاب خلاف وعبدالغني عبدالخالق وغيرهم من فحول العلم ؛ لأنَّهم ليسوا على مذهبنا وفهمنا؟! هذا ما لا يقوله منصفٌ متَّبعٌ للحقيقة .

ثمَّ سمعتُ من البعض قوله : إنَّ سيد قطب ليس له أشياخ !! فأقول : يا للعجب ! الأستاذ سيد خرِّيج دار العلوم وهي من معاهد العلم المشهورة المعروفة ، وأساتذتها شيوخٌ كبار ، فهل خرِّيجها ليس له أشياخ؟ وماذا يُقال عمَّن ليس له أشياخٌ فعلاً؟!

وأمَّا ما أُثيرَ من أن سيد قطب لا يفرِّق بين الألوهية والربوبية ، فلقد قلتُ للشيخ الألباني في مجلسٍ خاصٍّ ببيت صهره نظام سكَّجها عام ١٩٧٣م : إنَّ الأستاذ سيد يخطئ في الاصطلاح ؛ فيُطلق الألوهيَّة على الربوبية والربوبية على الألوهية ، فاستغربَ الشيخ ذلك !!

فالحقيقة أنَّ سيد رحمه الله يقرِّر الحقَّ الجليَّ الواضح لمن أرادَ أن يفهم ، فهو أخطأَ الاصطلاح ولم يُخطئ الحقيقة ، فالذي لم يكن محلَّ خلافٍ أطلق عليه الألوهية ، وهو يعني بذلك ما نسمِّيه نحن بالربوبية ، والعكس بالعكس[1] .

ومن أراد التحقّق من هذا فليقرأ كتاب «مقومات التصوّر الإسلامي» بتدبّر وتمعّن وإنصاف ، والله يهدينا إلى سواء الصراط .

---

(١) والأمر بحاجة إلى مزيد بحث واستقصاء .

شهادة الشيخ محبّ الدين الخطيب

قدَّم الأستاذ محبّ الدين الخطيب لكتاب «دراسات إسلامية» لسيد قطب ، ولأنَّ هذه المقدمة غير موجودة في النسخة المتداولة من هذا الكتاب ؛ وجدتُ من المناسب أن أوردَ ما يختصُّ بسيد قطب منها ، وهي مأخوذة من كتاب «سيد قطب أو ثورة الفكر الإسلامي» (ص٩٠ ـ ٩٢) لمحمد علي قطب :

لقد كان من حقِّ هذا السِّفر النفيس أن يتولَّى تصديره رجلٌ أصلب منِّي عوداً ، وأشدّ قوةً ، وأحدث سناً ، وأجرأ على مواجهة النَّاس بالحقِّ .

إنَّه (كتاب السَّنة) في أدب القوة ، ولا أعرف كتاباً صدر في هذه السَّنة ليتحدث عن الحقِّ بلسان القوة كما تحدَّث أخي الألمعي البليغ الأستاذ (سيد قطب) في هذا الكتاب .

لذلك كان من الظلم له أن يكتب مقدمته إنسانٌ معتدلٌ متئد وهو في العقد السابع من حياته .

لقد واجه (سيد قطب) بكلمة الحقِّ طوائف كثيرة في كتابه هذا ، وكلمة الحقِّ مُرَّة ، والذين صفعَ وجوههم بها يتصرَّفون بأكثر ما في الأرض من قوى الباطل ، وهم كثيرون ملء الدنيا ، ولا يقف في وجوه هؤلاء إلا المؤمن القويّ ، فهنيئاً للأستاذ (سيد قطب) ما متَّعه الله به من قوة الإيمان .

في هذا السِّفر النفيس فصل بعنوان (إلى النائمين في العالم الإسلامي) كتبه سيد قطب ونشره قبل قيام ثورة التحرير بأسبوعين .

ومقال (العبيد) حاول نشره في عهد الطغيان ؛ فحيل بينه وبين نشره .

وقد برهنَ (سيد قطب) بمواقفه في عهد الطغيان على أنه يُحسن القول في تأييد الحق ، يوم يتجهَّم وجه الباطل القويّ ، للحقّ إذا انصرفَ عنه جنده ، وفي حملة الأقلام منّا كثيرون يُحسنون القول في تأييد الحقّ ، ولكن إذا كانت له سوق يروج فيها ، أو دولة تخطب وُدَّ مؤيِّديه ولو إلى حين ؛ وهم على استعداد لأن يقولوا غير ذلك أيضاً ، ولهم من براعة القول ما يُحسنون به الاعتذار للباطل في دولته ، فأحرى أن يُحسنوا القول عن الحقّ إذا قامت له سوق . . .

لا مناص لنا من الاعتماد على مثل هذه الصرخات القوية ؛ تسجّلها أقلام المؤمنين الأقوياء من أمثال (سيد قطب) ، وهذا الكتاب في طليعتها ، وهو (كتاب السّنة) ، وحبَّذا لو متَّعَ (سيد قطب) شباب الجيل بمثله في كلّ سنة ؛ لندعو له دائماً بالخير .

ذو القعدة ١٣٧٢

محبّ الدين الخطيب

موقف العلامة عبدالعزيز بن باز

قال الأستاذ محمد المجذوب في كتابه «علماء ومفكرون عرفتهم» (ص٨١ ـ ٨٢) :

«عندما أصدرَت محكمة البغي قرارَها بإعدام سيد قطب وإخوانه اعترى الشيخَ ما يعتري كلَّ مؤمنٍ من الغمِّ في مثل هذه النازلة ؛ التي لا تستهدف حياة البُرآء المحكومين ، بقدر ما تستهدف الإضعاف من منزلة الإسلام نفسه ، بإرهاب المعتصمين به لتخذيلهم عنه .

وكلَّفني الشيخ [ابن باز] يومئذٍ صياغة البرقية المناسبة لهذا الموقف ، فكتبتُها بقلم يقطرُ ناراً وكُرهاً وغيرةً ، وجئتُه بها وملئي اليقين بأنَّه سيُدخلُ على لَهجتها من التعديل ما يجعلُها أقرب إلى لغة المسؤولين منها إلى لغة المنذرين ، ولكنَّه حطَّمَ كلَّ توقّعاتي حين أقرَّها جميعاً ، ولم يكتفِ حتى أضافَ إليها قولَ الله تعالى في سورة النساء : ﴿ومَن يقتل مؤمناً فجزاؤهُ جهنَّم خالداً فيها وغضبَ اللهُ عليه ولعنَهُ وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾ .

وأرسلت يومئذٍ البرقية التي كانت ـ فيما أظنّ ـ الوحيدة من أنحاء العالم الإسلامي بهذه المناسبة ، بما تحمله من عباراتٍ أشدّ على الطّغاة من لذع السياط» .

كلمة العلامة عبد الرحمن الدوسري[١]

«روى لي أحد طلبة العلم ، أنه كان أحد المستمعين لمحاضرة للشيخ الدوسري ، ولما فرغ من المحاضرة انبرى أحد السائلين المتحذلقين معترضاً على الشيخ الدوسري في استشهاده بكلام سيد قطب بقوله : مع أنه حليق لا لحية له !!

فكان جواب الشيخ الدوسري قوياً صاعقاً حيث قال : (إذا كان الشهيد سيد قطب بلا شعر في لحيته ، فهو صاحب إحساس وشعور ، وإيمان ويقين ، وعزة وكرامة ، وغيرة على الإسلام والمسلمين ، قدَّم روحه فداءً لدينه ، واستشهد في سبيل الله طلباً لمرضاته ، وطمعاً في جنته ، وقال قولته المشهورة حين ساوموه ليرجع عن موقفه : «لماذا أسترحم؟ إن سُجِنتُ بحقٍّ ، فأنا أرضى حُكم الحق ، وإن سُجِنتُ بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل ، إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يقر فيه حكم طاغية» ، هذا هو سيد قطب ، فأين أصحاب الشَّعر بلا شعور من مواقف الرجال؟!) . انتهى» .

---

(١) من كتاب «من أعلام الحركة الإسلامية المعاصرة» للمستشار عبدالله العقيل ، عن موقع (المنتدى) .

فتوى الشيخ عبدالله الجبرين

السؤال : فضيلة الشيخ ، أرجوك يا شيخ لو سمحتَ ، يوجد بعض الشباب يبدّعون الشيخ سيد قطب ، وينهون عن قراءة كتبه ، ويقولون - أيضاً - نفس القول عن حسن البنّا ، ويقولون عن بعض العلماء أنّهم خوارج ، وحجّتهم تبيين الأخطاء للنّاس وهم طلبة حتى الآن؟

أرجو الإجابة إزالةً للرّيب لنا ولغيرنا حتّى لا يعمّ هذا الشيء .

الجواب : الحمد لله وحده ، وبعد :

لا يجوز التبديع والتفسيق للمسلمين ؛ لقول النبي ﷺ : «مَن قال لأخيه : يا عدوَّ الله ، وليس كذلك ؛ إلا حارَ عليه» .

وفي الحديث : أنَّ «مَن كفَّر مسلماً فقد باء بهما أحدهما» .

وفي الحديث : «أنَّ رجلاً مرَّ برجل وهو يعمل ذنباً فقال : والله لا يغفر الله لك ، فقال : مَن ذا يتألَّى عليَّ ألا أغفر لفلان ، إني غفرت له وأحبطت عملك» .

ثمَّ أقول : إنَّ سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين ، ومن أهل الدعوة ، وقد نفع الله بهما وهدى بدعوتهما خلقاً كثيراً ، ولهما جهود لا تُنكر ، ولأجل ذلك شفعَ الشيخ عبدالعزيز بن باز في سيد قطب عندما قُرِّر عليه القتل ، وتلطَّف في الشفاعة ، فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال ، عليه من الله ما يستحقّ .

ولَمّا قُتلَ كلٌّ منهما ؛ أطلقَ على كلٍّ واحد أنّه شهيد ؛ لأنّه قُتل

(١) نشرت جريدة الأنباء الكويتية بتاريخ ١٤/٤/١٤١٧هـ ، العدد (٧٢٨٨) ، نقلاً عن كتاب «محلوظات وتنبيهات . .» لعبدالله الظفيري .

ظلماً ، وشهدَ بذلك الخاصّ والعامّ ، ونُشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار .

ثمَّ تلقّى العلماء كتبهما ، ونفع الله فيها ، ولم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عاماً .

وإذا وقع منهما أخطاء يسيرة في التأويل أو نحوه ، فلا يصل إلى حدِّ التكفير ، فإنَّ العلماء الأولين لهم مثل ذلك ، كالنووي ، والسيوطي ، وابن الجوزي ، وابن عطيَّة ، والخطابي ، والقسطلاني ، وأمثالهم كثير .

وقد قرأتُ ما كتبه الشيخ ربيع المدخلي في الردِّ على سيد قطب ، ورأيتُه جعل العناوين لما ليس بحقيقة ، فردَّ عليه الشيخ بكر أبو زيد ـ حفظه الله ـ .

وكذلك تحامل على الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق ، وجعلَ في كلامه أخطاء مضلّلة مع طول صحبته له من غير نكير .

وعين الرضا عن كلِّ عيبٍ كليلة

ولكنَّ عين السّخط تُبدي المساويا

كتبه

عبدالله بن عبدالرحمن الجبرين

عضو الإفتاء : ١٤١٦/٨/١٧هـ

خطاب الشيخ بكر أبو زيد

فضيلة الأخ الشيخ / ربيع بن هادي المدخلي . . الموقر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

فأشير إلى رغبتكم قراءة الكتاب المرفق «أضواء إسلامية على عقيدة سيد قطب وفكره» . . هل من ملاحظات عليه ، ثم هذه الملاحظات هل تقضي على هذا المشروع فيطوى ولا يروى ، أم هي مما يمكن تعديلها فيترشح الكتاب بعد الطبع والنشر ويكون ذخيرة لكم في الأخرى ، بصيرة لمن شاء الله من عباده في الدنيا؟ لهذا أبدي ما يلي :

١ ـ نظرت في أول صفحة من فهرس الموضوعات فوجدتها عناوين قد جمعت في سيد قطب رحمه الله ، أصول الكفر والإلحاد والزندقة ، القول بوحدة الوجود ، القول بخلق القرآن ، يجوز لغير الله أن يشرع ، غلوه في تعظيم صفات الله تعالى ، لا يقبل الأحاديث المتواترة ، يشكك في أمور العقيدة التي يجب الجزم بها ، يكفر المجتمعات . . . إلى آخر تلك العناوين التي تقشعر منها جلود المؤمنين . . وأَسِفْتُ على أحوال علماء المسلمين في الأقطار الذين لم يُنَبِّهوا على هذه الموبقات . . وكيف الجمع بين هذا وبين انتشار كتبه في الآفاق انتشار الشمس ، وعامتهم يستفيدون منها ، حتى أنت في بعض ما كتبت .

عند هذا أخذت بالمطابقة بين العنوان والموضوع ، فوجدت الخبر يكذبه الخبر ، ونهايتها بالجملة عناوين استفزازية تجذب القارئ العادي ،

---

(١) نقلاً عن كتاب : «كبار العلماء يتكلَّمون عن الدعاة» (ص٤٧ ـ ٥٥) لأبي محمد حجر بن محمد القرني .

إلى الوقيعة في سيد رحمه الله ، وإني أكره لي ولكم ولكل مسلم مواطن الإثم والجناح ، وإن من الغبن الفاحش إهداء الإنسان حسناته إلى من يعتقد بغضه وعداوته .

٢ ـ نظرت فوجدت هذا الكتاب يفتقد : أصول البحث العلمي ، الحيدة العلمية ، منهج النقد ، أمانة النقل والعلم ، عدم هضم الحق . أما أدب الحوار وسمو الأسلوب ورصانة العرض ؛ فلا تمت إلى الكتاب بهاجس . . وإليك الدليل :

أولاً : رأيت الاعتماد في النقل من كتب سيد رحمه الله تعالى من طبعات سابقة مثل «الظلال» و«العدالة الاجتماعية» مع علمكم كما في حاشية (ص٢٩) وغيرها ، أن لها طبعات معدلة لاحقة ، والواجب حسب أصول النقد والأمانة العلمية ، تسليط النقد ـ إن كان ـ على النص من الطبعة الأخيرة لكل كتاب ، لأن ما فيها من تعديل ينسخ ما في سابقتها ، وهذا غير خاف ـ إن شاء الله تعالى ـ على معلوماتكم الأولية ، لكن لعلها غلطة طالب حضَّر لكم المعلومات ولَمَّا يعرف هذا !! وغير خافٍ لما لهذا من نظائر لدى أهل العلم ، فمثلاً كتاب «الروح» لابن القيم لما رأى بعضهم فيما رأى قال : لعله في أول حياته ، وهكذا في مواطن لغيره ، وكتاب «العدالة الاجتماعية» هو أول ما ألفه في الإسلاميات ، والله المستعان .

ثانياً : لقد اقشعر جلدي حينما قرأت في فهرس هذا الكتاب قولكم : (سيد قطب يجوِّز لغير الله أن يشرِّع) ، فهرعت إليها قبل كل شيء ، فرأيت الكلام بمجموعه نقلاً واحداً لسطور عديدة من كتابه «العدالة الاجتماعية» وكلامه لا يفيد هذا العنوان الاستفزازي ، ولنفرض أن فيه عبارة موهمة أو مطلقة ، فكيف نحوِّلها إلى مؤاخذة مكفِّرة ،

تنسف ما بنى عليه سيد رحمه الله حياته ووظف له قلمه من الدعوة إلى توحيد الله تعالى (في الحكم والتشريع) ، ورفض سنّ القوانين الوضعية والوقوف في وجوه الفعلة لذلك . إن الله يحب العدل والإنصاف في كل شيء ولا أراك - إن شاء الله تعالى - إلا في أوبة إلى العدل والإنصاف .

ثالثاً : ومن العناوين الاستفزازية قولكم : (قول سيد قطب بوحدة الوجود) . إن سيداً رحمه الله قال كلاماً متشابهاً حلّقَ فيه بالأسلوب في تفسير سورتي الحديد والإخلاص ، وقد اعتُمد عليه بنسبة القول بوحدة الوجود إليه ، وأحسنتم حينما نقلتم قوله في تفسير سورة البقرة من ردِّه الواضح الصريح لفكرة وحدة الوجود ، ومنه قوله : «ومن هنا تنتفي من التفكير الإسلامي الصحيح فكرة وحدة الوجود» ، وأزيدكم أن في كتابه «مقومات التصور الإسلامي» ردّاً شافياً على القائلين بوحدة الوجود ، لهذا فنحن نقول : غفر الله لسيد كلامه المتشابه الذي جنح فيه بأسلوبٍ وسَّع فيه العبارة . . والمتشابه لا يقاوم النص الصريح القاطع من كلامه ، لهذا أرجو المبادرة إلى شطب هذا التكفير الضمني لسيد رحمه الله تعالى ، وإني مشفق عليكم .

رابعاً : وهنا أقول لجنابكم الكريم بكل وضوح : إنك تحت هذه العناوين (مخالفته في تفسير لا إله إلا الله للعلماء وأهل اللغة وعدم وضوح الربوبية والألوهية عند سيد) . . أقول : أيها المحبّ الحبيب ، لقد نسفت بلا تثبُّت جميع ما قرره سيد رحمه الله تعالى من معالم التوحيد ومقتضياته ، ولوازمه التي تحتلُّ السمة البارزة في حياته الطويلة ؛ فجميع ما ذكرته يلغيه كلمة واحدة ، وهي أن توحيد الله في الحكم والتشريع من مقتضيات كلمة التوحيد ، وسيد رحمه الله تعالى ركَّز على هذا كثيراً لما

رأى من هذه الجرأة الفاجرة على إلغاء تحكيم شرع الله من القضاء وغيره وإحلال القوانين الوضعية بدلاً عنها ، ولا شك أن هذه جرأة عظيمة ما عهدتها الأمة الإسلامية في مشوارها الطويل قبل عام (١٣٤٢هـ) .

خامساً : ومن عناوين الفهرس (قول سيد بخلق القرآن وأن كلام الله عبارة عن الإرادة) . . لما رجعت إلى الصفحات المذكورة لم أجد حرفاً واحداً يصرح فيه سيد رحمه الله تعالى بهذا اللفظ (القرآن مخلوق) . كيف يكون هذا الاستسهال للرمي بهذه المكفرات؟!

إن نهاية ما رأيت له تمدّد في الأسلوب كقوله : (ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها - أي الحروف المقطعة - مثل هذا الكتاب ؛ لأنه من صنع الله لا من صنع الناس) . . وهي عبارة لا شك في خطئها ، ولكن هل نحكم من خلالها أن سيداً يقول بهذه المقولة الكفرية (خلق القرآن) ، اللَّهم إني لا أستطيع تحمل عهدة ذلك . .

لقد ذكَّرني هذا بقول نحوه للشيخ محمد عبد الخالق عضيمة - رحمه الله تعالى - في مقدمة كتابه «دراسات في أسلوب القرآن الكريم» والذي طبعته مشكورة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، فهل نرمي الجميع بالقول بخلق القرآن؟! اللَّهم لا .

وأكتفي بهذا من الناحية الموضوعية وهي المهمة .

ومن جهات أخرى أبدي ما يلي :

١ - مسودة هذا الكتاب تقع في (١٦١) صفحة بقلم اليد ، وهي خطوط مختلفة ، ولا أعرف منه صفحة واحدة بقلمكم حسب المعتاد ، إلا أن يكون اختلف خطكم ، أو اختلط علي ، أم أنه عُهد بكتب سيد قطب رحمه الله لعدد من الطلاب فاستخرج كل طالب ما بدا له تحت إشرافكم ،

أو بإملائكم . لهذا فلا أتحقق من نسبته إليكم إلا ما كتبته على طرته أنه من تأليفكم ، وهذا عندي كافٍ في التوثيق بالنسبة لشخصكم الكريم .

٢ ـ مع اختلاف الخطوط إلا أن الكتاب من أوله إلى آخره يجري على وتيرة واحدة وهي : أنه بنفس متوترة ، وتهيُّج مستمر ، ووثبة تضغط على النص حتى يتولد منه الأخطاء الكبار ، وتجعل محلّ الاحتمال ومشتبه الكلام محلّ قطع لا يقبل الجدال ، وهذا نكثٌ لمنهج النقد : الحيدة العلمية .

٣ ـ من حيث الصيغة إذا كان قارناً بينه وبين أسلوب سيد رحمه الله ، فهو في نزول ، وسيد قد سَمَا ، وإن اعتبرناه من جانبكم الكريم فهو أسلوب «إعدادي» لا يناسب إبرازه من طالب علم حاز على العالمية العالية ، لا بد من تكافؤ القدرات في الذوق الأدبي ، والقدرة على البلاغة والبيان ، وحسن العرض ، وإلا فليُكسر القلم .

٤ ـ لقد طغى أسلوب التهيُّج والفزع على المنهج العلمي النقدي ، ولهذا افتقد الردُّ أدبَ الحوار .

٥ ـ في الكتاب من أوله إلى آخره تهجُّم ، وضيق عطن ، وتشنُّج في العبارات ؛ فلماذا هذا؟!

٦ ـ هذا الكتاب ينشِّط الحزبية الجديدة التي أنشأَتْ في نفوس الشبيبة جنوح الفكر بالتحريم تارة ، والنقض تارة ، وأن هذا بدعة ، وذاك مبتدع ، وهذا ضلال ، وذاك ضال . . ولا بيِّنة كافية للإثبات ، وولَّدَتْ غرور التديُّن والاستعلاء ؛ حتى كأنما الواحد عند فعلته هذه يلقي حملاً عن ظهره قد استراح من عناء حمله ، وأنه يأخذ بحُجَز الأمة عن الهاوية ، وأنه في اعتبار الآخرين قد حلَّق في الورع والغيرة على حرمات

الشرع المطهر ، وهذا من غير تحقيق هو في الحقيقة هدم ، وإن اعتُبر بناءً عالي الشرفات ، فهو إلى التساقط ، ثم التبرُّد في أدراج الرياح العاتية .

هذه سمات ست تمتع بها هذا الكتاب فآل غير ممتع .

هذا ما بدا لي حسب رغبتكم ، وأعتذر عن تأخر الجواب ، لأنني من قبل ليس لي عناية بقراءة كتب هذا الرجل وإن تداولها الناس ، لكن هول ما ذكرتم دفعني إلى قراءات متعددة في عامة كتبه ، فوجدت في كتبه خيراً كثيراً ، وإيماناً مشرقاً ، وحقاً أبلج ، وتشريحاً فاضحاً لمخططات العداء للإسلام ، على عثرات في سياقاته ، واسترسال بعبارات ليته لم يَفُهْ بها ، وكثير منها ينقضها قوله الحق في مكان آخر ، والكمال عزيز ، والرجل كان أديباً نقادة ، ثم اتجه إلى خدمة الإسلام من خلال القرآن العظيم والسنة المشرفة ، والسيرة النبوية العطرة ، فكان ما كان من مواقف في قضايا عصره ، وأصرَّ على موقفه في سبيل الله تعالى ، وكشف عن سالفته ، وطُلب منه أن يسطر بقلمه كلمات اعتذار ، وقال كلمته الإيمانية المشهورة : «إن أصبعاً أرفعه للشهادة لن أكتب به كلمة تضارها» . . أو كلمة نحو ذلك .

فالواجب على الجميع الدعاء له بالمغفرة ، والاستفادة من علمه ، وبيان ما تحققنا خطأه فيه ، وأن خطأه لا يوجب حرماننا من علمه ولا هجر كتبه .

واعتبر ـ رعاك الله ـ حاله بحال أسلاف مضوا ؛ أمثال أبي إسماعيل الهروي والجيلاني ، كيف دافع عنهما شيخ الإسلام ابن تيمية مع ما لديهما من الطوام ؛ لأن الأصل في مسلكهما نصرة الإسلام والسنة ، وانظر «منازل السائرين» للهروي رحمه الله تعالى ، ترى عجائب لا يمكن

قبولها ، ومع ذلك ؛ فابن القيم رحمه الله يعتذر عنه أشد الاعتذار ولا يجرمه فيها ، وذلك في شرحه «مدارج السالكين» ، وقد بسطت في كتاب «تصنيف الناس بين الظن واليقين» ما تيسر لي من قواعد ضابطة في ذلك .

وفي الختام ؛ فإني أنصح فضيلة الأخ في الله بالعدول عن طبع هذا الكتاب «أضواء إسلامية» ، وأنه لا يجوز نشره ولا طبعه ؛ لما فيه من التحامل الشديد ، والتدريب القوي لشباب الأمة على الوقيعة في العلماء ، وتشذيبهم ، والحطّ من أقدارهم والانصراف عن فضائلهم . .

واسمح لي ـ بارك الله فيك ـ إن كنت قسوت في العبارة ، فإنه بسبب ما رأيته من تحاملكم الشديد وشفقتي عليكم ورغبتكم الملحة بمعرفة ما لدي نحوه .

جرى القلم بما تقدم سدد الله خطى الجميع . .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

بكر بن عبد الله أبوزيد

١٤١٤/١/٢٠هـ

شهادة الشيخ محمد قطب

سأل الأخ عبدالرحمن بن محمد الهرفي الشيخَ محمد قطب عن كتاب «العدالة الاجتماعية» لشقيقه سيد قطب ، فكان هذا الجواب الذي تم نشره في «موقع الصحوة» على الإنترنت :

«الأخ الفاضل عبدالرحمن بن محمد الهرفي حفظه الله . .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . .

سألتَني عن كتاب «العدالة الاجتماعية» ؛ فأخبرك أنَّ هذا أول كتاب ألَّفه بعد أن كانت اهتماماته في السابق متَّجهة إلى الأدب والنقد الأدبي ، وهذا الكتاب لا يمثِّل فكره بعد أن نضجَ تفكيره وصار ـ بحول الله ـ أرسخ قدماً في الإسلام . وهو لم يوصِ بقراءته .

إنَّما الكتب التي أوصى بقراءتها قبيل وفاته هي «الظلال» (وبصفة خاصة الأجزاء الاثنا عشرة الأولى المعادة المنقّحة ؛ وهي آخر ما كتب من «الظلال» على وجه التقريب ، وحرص على أن يودعها فكره كلَّه) ، «معالم في الطريق» (ومعظمه مأخوذ من الظلال مع إضافة فصول جديدة) ، و«هذا الدين» و«المستقبل لهذا الدِّين» ، و«خصائص التصور الإسلامي» و«مقومات التصور الإسلامي» (وهو الكتاب الذي نُشر بعد وفاته) ، و«الإسلام ومشكلات الحضارة» .

أما الكتب التي أوصى بعدم قراءتها ؛ فهي كلّ ما كتبه قبل «الظلال» ، ومن بينها «العدالة الاجتماعية» .

أما كتاب «لماذا أعدموني» ؛ فهو ليس كتاباً ، إنَّما هو محاضر التحقيق التي أُجريت معه في السجن الحربي ، حُذفت منها الأسئلة

التي وجَّهها إليه المحقِّق وبقيَت الأجوبة ، وقد استخرجَها محمد حسنين هيكل من ملفَّات السجن وباعها لجريدة «الشرق الأوسط» ، فنشرتها في جريدة «المسلمون» مجزَّأة ثم نشرَتها في صورة كتاب ، ولَمّا كُنّا لم نطّلع على أصولها فلا نستطيع أن نحكم على مدى صحتها ، ومن المؤكَّد أنَّهم حذفوا منها ما يختصّ بالتعذيب (وقد اعترفَت الجريدة بذلك) ، أما الباقي فيُحتمل صدوره عنه ، ولكن لا يمكن القطع بذلك ، وفضلاً عن ذلك فهذه التحقيقات كلّها كانت تجري في ظلّ التعذيب .

هذا جواب ما سألتَني عنه ، وبالله التوفيق» .

محمد قطب

رأي الشيخ حمود العقلاء الشعيبي

جاء في موقع الشيخ حمود الشعيبي على الإنترنت السؤال الآتي :

كثرت الأقوال في سيد قطب رحمه الله ، فهذا ينزهه من كل خطأ ، وذاك يجعله في عداد الفاجرين بل الكافرين ، فما هو الحق في ذلك؟

فكان جواب الشيخ :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على مَن لا نبي بعده ، وبعد :

فإنَّ المفكر الأديب سيد قطب رحمه الله له أعداء كثيرون ، يختلفون في كيفية النقد وأهدافه والغايات منه ، ويتفقون في مصالح مشتركة ، وقبل أن أكشف بطلان مثالب الجرَّاحين والمطاعن الموجهة إلى سيد رحمه الله ، أُبيِّن أولاً لماذا يُستهدف سيد قطب خاصة؟ ومَن المستفيد من إسقاطه؟

إن سيداً رحمه الله يعدُّ في عصره عَلَماً من أعلام أصحاب منهج مقارعة الظالمين والكفر بهم ، ومن أفذاذ الدعاة إلى تعبيد الناس لربهم والدعوة إلى توحيد التحاكم إلى الله ، فلم يقضِّ إلا مضاجع أعداء الله ورسوله كجمال عبدالناصر وأمثاله . . وما فرح أحد بقتله كما فرح أولئك ، ولقد ضاق أولئك الأذناب بهذا البطل ذرعاً ، فلما ظنوا أنهم قد قتلوه إذا بدمه يحيي منهجه ويشعل كلماته حماساً ، فزاد قبوله بين المسلمين ، وزاد انتشار كتبه ، لأنه دلَّل بصدقه وإقدامه على قوة منهجه ، فسعوا إلى إعادة الطعن فيه رغبةً منهم لقتل منهجه أيضاً ، وأنَّى لهم ذلك؟!

فاستهداف سيد قطب رحمه الله لم يكن استهدافاً مجرداً لشخصه ، فهو ليس الوحيد من العلماء الذي وُجدت له العثرات ، فعنده أخطاء لا ننكرها ، ولكن الطعن فيه ليس لإسقاطه هو بذاته ؛ فقد قَدِم إلى ربه ونسأل الله له الشهادة ، ولكن الذي لا زال يقلق أعداءه وأتباعهم هو منهجه الذي يخشون أن ينتشر بين أبناء المسلمين .

وإني إذ أسمع الطعن في سيد قطب رحمه الله لا أستغرب ذلك لقوله الله تعالى : ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً﴾ ، فكل من معه نورٌ من النبوة أيضاً له أعداء من أهل الباطل بقدر ما معه من ميراث نبينا محمد عليه الصلاة والسلام ، فما يضير سيداً طعن الطاعنين؟! بل هو رفعة له وزيادة في حسناته ، ولكن الذي يثير الاستغراب هو فعل أولئك القوم الذين يدّعون اتباع الحق ومع ذلك ينقصون الميزان ولا يزنون بالقسطاس المستقيم ؛ والله يقول : ﴿ويلٌ للمطفِّفين . الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون . وإذا كَالوهم أو وَزَنُوهم يخسرون﴾ .

فأولئك إذا أرادوا مدحَ أحدٍ عليه من المآخذ ما يفوق سيداً بأضعاف قالوا كلمتهم المشهورة : «تُغمس أخطاؤه في بحر حسناته» ، وقالوا : «إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث» وغير ذلك . وإذا أرادوا ذمَّ آخر ـ كسيد رحمه الله الذي يعد مجدداً في باب ﴿إن الحكم إلا لله﴾ ـ سلكوا معه طريق الخوارج وكفَّروه بالمعاصي والزلات .

وسيد رحمه الله لا ندَّعي له العصمة من الخطأ ، بل نقول : إن له أخطاء ليس هذا مجال تفصيلها ، ولكنها لا تخلُّ بأصل دعوته ومنهجه ، كما أن عند غيره من الأخطاء التي لم تقدح في منزلتهم ، وعلى سبيل المثال ابن حجر والنووي وابن الجوزي وابن حزم ، فهؤلاء لهم أخطاء في

العقيدة ؛ إلا أن أخطاءهم لم تجعل أحداً من أبناء الأمة ولا أعلامها يمتنع من الاستفادة منهم ، أو يهضمهم حقَّهم وينكر فضائلهم ، فهم أئمة إلا فيما أخطأوا فيه . وهذا الحال مع سيد رحمه الله ؛ فأخطاؤه لم تقدح في أصل منهجه ودعوته لتوحيد الحاكمية وتعبيد الناس لربهم .

والقاعدة التي يجب أن تقرر في مثل هذه الحالات هي ما يستفاد من قول الله تعالى : ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ، فكل من حقَّق ما يجب تحقيقه من أصل الدين ، يُنظر بعد ذلك في سائر منهجه ؛ فإن كان خطؤه أكثر من صوابه ، وشره يغلب على نفعه ، فإنه يهمل قوله ، وتُطوى كتبه ولا تُروى .

وعلى ذلك ؛ فالقول الفصل في سيد رحمه الله : أن أخطاءه مغمورة في جانب فضائله ودفاعه عن (لا إله إلا الله) ، لا سيما أنه حقَّق أصول المعتقد الصحيح ، وإن كان عليه بعض المآخذ ، وعبارات أطلقها لا نوافقه عليها ـ رحمه الله ـ .

وختاماً لا يسعني إلا أن أذكر أنني أحسب سيداً ـ والله حسيبه ـ يشمله قوله عليه الصلاة والسلام : «سيد الشهداء حمزة ، ورجل قام عند سلطان جائر فأمره ونهاه فقتله» .

فنحسب أن سيداً رحمه الله قد حقَّق ذلك الشرط حيث قال كلمة حق عند سلطان جائر ؛ فقتله . . وأنقل كلمة له ـ رحمه الله ـ قبل إعدامه بقليل ؛ عندما أعجب أحد الضباط بفرح سيد قطب وسعادته عند سماعه نبأ الحكم عليه بالإعدام «الشهادة» ، وتعجب لأنه لم يحزن ويكتئب وينهار ويحبط ، فسأله قائلاً : أنت تعتقد أنك ستكون شهيداً ؛

فما معنى شهيد عندك؟ أجاب رحمه الله قائلاً : الشهيد هو الذي يقدِّم شهادة من روحه ودمه : أنَّ دين الله أغلى عنده من حياته ، ولذلك يبذل روحه وحياته فداءً لدين الله .

وله ـ رحمه الله ـ من المواقف والأقوال التي لا يشكُّ عارفٌ بالحقِّ أنها صادرة عن قلبٍ قد مُلئ بحبِّ الله وحبِّ رسوله ﷺ ، وحبِّ التضحية لدينه .

نسأل الله أن يرحمنا ويعفو عنا وإياه . وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

قاله/حمود بن عقلاء الشعيبي

١٤٢١/٥/١٦هـ

رأي الشيخ عمر سليمان الأشقر

هل كفَّر سيد قطب المجتمعات والأفراد؟

هذا السؤال وجَّهته «مجلة المجتمع» (العدد ٥٦٥) إلى الشيخ عمر سليمان الأشقر، وأورد الدكتور صلاح الخالدي في كتابه «في ظلال القرآن في الميزان» (ص٢٣١) خلاصة جواب الأستاذ الأشقر على النحو الآتي:

«لم تحوِ كتب الشهيد نصاً واحداً يصرح فيه بتكفير المجتمعات أو الأفراد.. ولم يتَّفق الإخوان على أنَّ سيد كان يصرِّح في لقاءاته وجلساته وأحاديثه بتكفير المجتمعات.. ولكن كثيراً من كتاباته قد يُستنتج منها تكفير المجتمعات والأفراد، وتلك الاستنتاجات أمر طبيعي لتفاوت الأفهام أحياناً.. ولتعمّق المؤلف في معنى معيّن للتأكيد على فكرة ما»..

«وبيَّن خطورة التحاكم لغير الله على كلمة الشهادة وصراحة الشرك في الرضى بتشريعات البشر الوضعية.. ووصل به التشديد درجةً (قارب) معها اتهام المجتمعات والأفراد، ولا أدلّ على ذلك مما كتبه في «الظلال»، عندما توقَّف عند قوله تعالى: ﴿ولتستبين سبيل المجرمين﴾ من سورة الأنعام..

وتعمُّق سيد في هذا المعنى، وتشديدُه على خطورة التحاكم لغير الله، لم يؤدِّ به إلى تكفير المجتمعات والأفراد رغم حماسته لهذه الفكرة؛ ذلك لأنَّه يعلم حدود فكرته ورأيه.. ولكن بعض تلامذته ـ وممن تلقّوا الدعوة على يديه ـ تجاوزوا فكرته ورأيه ووصلوا إلى المحظور، وقالوا بتكفير المجتمعات والأفراد..

وإذا كانت مجموعة من تلامذته تؤكِّد أنَّ (سيد) كان يكفِّر المجتمعات والأفراد ؛ فإنَّ القطاع الأكبر من زملائه وإخوانه وتلامذته يصرّون على نفي هذا الرأي عنه . . .» . . «كما أنَّ سيد نفسه نفى هذا الرأي عن نفسه أثناء التحقيق معه . .» . . «وفي النهاية فإن كتابات سيد وما ورد فيها هي الفيصل في هذا الموضوع . . وطالما لم ينصّ على هذا الرأي ؛ فمن الظلم أن نحمِّل الشهيد رأياً لم يقُلْه . . خاصة إذا كان يسيء إليه . . والله أعلم» .

رأي الشيخ سلمان العودة(١)

سيد قطب في الميزان !

سيد قطب ـ رحمه الله ـ اختلف في منهجه الكثيرون ، فالبعض أسماه مكفِّراً والبعض الآخر أسماه مشبِّهًا والبعض الآخر أسموه متكلمًا ؛ والأدهى من ذلك والأَمَر أن البعض يكفره ويمزق كتبه ويكفرونه ويسمون كتابه «في ظَلال القرآن» الضَّلال ـ بالفتح!! ـ ، علماً بأنه حمل لواء الجهاد في سبيل الله بالكلمة الصادقة ـ كما نحسبه والله حسيبه ـ ومات وهو على كلمة الحق التي دعا إليها . فما صحة ما يقوله المتقولون؟

«سيد» .. بين معتدل وغالٍ

أما عن سيد قطب فقد قرأت معظم كتبه ، وإن شئت فقل : كل كتبه ، كما قرأت كثيراً مما كُتِبَ عنه ، ولعل أوفى كتاب في هذا الباب هو كتاب «سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد» للدكتور صلاح الخالدي ، وللدكتور عناية خاصة بالأستاذ سيد ، وآخر مؤلفاته حوله رسالة كبيرة نشرت ضمن سلسلة أعلام المسلمين .

والملحوظ أن الناس في سيد ، وفي غيره ، يكون فيهم المتوسط المعتدل ، الذي ينظر بعين الإنصاف والتجرد والتحري ، ويكون فيهم المتطرف الذي يقع في التعصب والهوى ؛ وسيان أن يكون التعصب ضد الشخص مما يحمل على رد الحق الذي معه وتصيد الأخطاء عليه

---

(١) نشرت على موقع (إسلام أون لاين) ، وعناوين المقالة من وضع المحرر المسؤول في الموقع .

وتفسير كلامه على أسوأ الوجوه وعدم الاعتبار بالمتقدم والمتأخر من كلامه . . أو أن يكون التعصب له مما يحمل على أخذ أقواله دون تحفظ ، والغفلة عن أخطائه وعثراته ، والدفاع عنه بغير بصيرة ، بل : وربما اعتقاد العصمة في المتبوع بلسان الحال ، أو بلسان المقال .

وقد قال النبي ﷺ ـ كما في «صحيح مسلم» من حديث ابن مسعود ـ : «الكِبْر بَطَر الحق وغَمْط الناس» . والذي يخاف الله يتورع عن أعراض عامة المسلمين ، فضلاً عن خاصتهم من أهل العلم ، والدعوة والجهاد والدين .

والذي أدين الله به أن الأستاذ سيد قطب من أئمة الهدى والدين ، ومن دعاة الإصلاح ، ومن رواد الفكر الإسلامي . . سخّر فكره وقلمه في الدفاع عن الإسلام ، وشرح معانيه ، ورد شبهات أعدائه ، وتقرير عقائده وأحكامه ، على وجه قلّ من يباريه أو يجاريه في هذا الزمان . وكان حديثه حديث المعايش الذي لابس همّ الإسلام قلبه ، وملك عليه نفسه ، قد شغله الحزن على الإسلام ، والغضب له ، حتى عن ذاته وهمومه الخاصة .

«الظلال».. تفسير مختلف!

وكتابه «الظلال» يعتبر إضافة كبيرة لدراسة التفسير ، واستطاع فيه أن يستوعب كثيراً مما كتبه المتقدمون ، وأن يبني عليه رؤيته الخاصة المتميزة ، وفهمه الثاقب ، ودرسه الغزير ، وأن يقرن آي الكتاب بحياة الناس المعاصرة حتى يشعر قارئه أن القرآن ليس كتاباً نزل لبيئة خاصة في المكان والزمان ، ولكنه هداية للناس أجمعين ، أياً كان زمانهم أو مكانهم .

ولقد استفاد الأستاذ سيد من تفسير ابن كثير فائدة غنية ، ونقل عنه ، وربما اعتمد عليه خصوصاً في باب المرويات والأقاويل ، بل وفي أوجه الاختيار والترجيح . كما انتفع بما كتبه الشيخ محمد رشيد رضا في «المنار» فيما يتعلق بربط هداية القرآن بنتائج العلم والبحث الإنساني والاجتماعي والعمراني ، وفيما يتعلق بالتجرد عن التعصب والتقليد . ولكن يبقى الظلال شيئاً آخر ، غير هذا وذاك .

نعم ؛ ليس الكتاب تفسيراً لآيات الأحكام ، ولهذا فهو لا يغني عن مثل كتاب القرطبي ، أو ابن العربي ، أو الجصاص ، أو غيرهم خصوصاً للمهتمين بمعرفة المذاهب الفقهية ، والترجيح بينها ، وليس تقريراً مفصلاً أو تعليمياً لكليات العقيدة وجزئياتها ، فهو لا يغني عن قراءة ما كتبه الإمام الفذ ابن تيمية ، أو تلميذه العَلَم ابن القيم ، في تقرير العقيدة ، والذب عنها ، ومناظرة خصومها .

بل وقع في «الظلال» عثرات في هذا الباب وفي غيره ، ولكنها يسيرة إلى جنب ما فيه من الخير والعلم والإيمان .

ومن ذلك ـ تمثيلاً ـ اضطرابه في باب الاستواء ـ كما يعرفه من راجع تفسير هذه الآية في مواضعها السبعة المعروفة ـ ووقع منه في بعضها أن الاستواء كناية عن السيطرة والاستعلاء ، وهذا خطأ ، والصواب أن الاستواء ، كما قال مالك : معلوم من حيث المعنى ، مجهول أو غير معقول من حيث الكيفية ، وقد ذكر الأئمة في معناه : العلو ، والاستقرار ، والارتفاع ، والصعود ، والله أعلم .

ومن ذلك أنه يسمى توحيد الألوهية ـ الذي هو توحيد العبادة ـ باسم توحيد الربوبية ، ويسمي توحيد الربوبية باسم توحيد الألوهية ،

وهذا خطأ في اللفظ ، لكنه ـ رحمه الله ـ كان شديد الوضوح في إدراك هذه المعاني والحقائق وتقريرها .

القراءة الحرفية .. مشكلة القارئ !

ومن ذلك أنه كتب فصولاً موسعة في موضوع الدعوة ومنهجها ، والموقف من المجتمعات المعاصرة ، وكتب ذلك بعاطفة مشبوبة ، ولغة قوية ، وغيرة على الدين ، وعلى المسلمين .. حمّلها بعض قارئيه ما لا تحتمل من المعاني واللوازم ، وتعاملوا معها على أنها نصوص تقرأ بحروفها وألفاظها ، وتحفظ وتتلى ويستشهد بها في مواطن النزاع ، ومضايق الجدل والمناظرة والخصام . وبنى بعض هؤلاء على هذه القراءة الحرفية الضيقة تكفير الناس كافة ، أو التوقف بشأنهم أو الهجرة من ديارهم ... إلى أين؟ لا أدري !

وبنى آخرون عليها فكرة الانفصال عن المجتمعات وترك العمل فيها واعتزالها ، وفهمت كلمة سيد -رحمه الله- عن (العزلة الشعورية) بتكثيف قوي ، وترميز شديد ، جعلها بؤرة العمل والانطلاق .

والحق أن القراءة الحرفية الظاهرية لتراث كاتب ما ، ليست أمراً خاصاً وقع مع سيد قطب ـ رحمه الله ـ وحده ، لكنها مشكلة تراثية يعاد إنتاجها الآن مع عدد كبير من رموز العلم والفقه والدعوة والاجتهاد ، من المتقدمين والمعاصرين .

ولقد يكتب العالم بحثاً ، أو يقدم اجتهاداً ، أو ينتحل رأياً في مسألة ، وينتصر له بحسب ما توفر لديه آنذاك ، فيأتي الخالفون فيقرءون نصه بقدسية تأسر عقولهم ، وتجعل همهم مقصوراً على إدراك النص

وفهمه ، ثم تقريره وتوسيع دائرته ، ثم الاستشهاد له ومدافعة خصومه .

ولذلك يدري كل أحد ، أن الأئمة أصحاب المذاهب الفقهية وغير الفقهية ، لم يكونوا يشعرون أنهم يؤسسون مذهباً ، ويقيمون بناءً خاصاً ، راسخ القواعد ، مكتمل الأركان ، حتى جاء من بعدهم فأصّل وفصّل ، وجمع النظير إلى النظير ، وتعامل مع كلام الأئمة بحرفية بالغة ، بل عدّ بعضهم كلام الإمام ككلام الشارع ، من جهة المنطوق والمفهوم ، واللازم ، والقياس عليه ، والناسخ والمنسوخ ، والظاهر والنص . . . إلخ . هذا مع شدة نهي العلماء عن التقليد ، حتى إن منهم من كان ينهى عن تدوين آرائه الفقهية ، ويحذر من تناقلها .

وكلما كان العالم أوسع انتشاراً ، وأكثر أتباعاً ، وأوغل في الرمزية ـ لأي سبب ـ كان الأمر بالنسبة له أشد ، وكانت المشكلة أظهر ، لكنها تخف تدريجياً بتقدم الزمن ، ولو من بعض الوجوه . هذه ليست مشكلة العالم أو المفكر ، بقدر ما هي مشكلة القارئ أو المتلقي ؛ وأياً ما كانت فهي مما يحتاج إلى بحثٍ ودراسة . وقديماً كان علي ـ رضي الله عنه ـ يقول قولته المشهورة : يهلك فيّ رجلان : غالٍ وجافٍ .

ردّ النصوص إلى بعضها

والخلاصة : أن سيد قطب وغيره من أهل العلم يؤخذ من قولهم ويترك ، ويصيبون ويخطئون ، ويَردون ويُرد عليهم ، وهم إن شاء الله بين أجر وأجرين ، ولئن حرموا أجر المصيب في عشر مسائل أو مائة مسألة ، فلعلهم ـ بإذن الله ـ ألا يحرموا أجر المجتهد .

ومن أفضل ما كتبه سيد قطب كتاب «خصائص التصور الإسلامي» ، والذي ظهر جزؤه الأول في حياته ، وأخرج أخوه الأستاذ

محمد قطب حفظه الله جزأه الثاني بعد وفاته . وهو كتاب عظيم القدر في تقرير جملة من أصول الاعتقاد ، معتمدا على نصوص الكتاب الكريم بالمقام الأول ، مؤيداً لها بحجج العقل الظاهرة ، راداً على مقالات المخالفين والمنحرفين . وفيه رد صريح ومباشر على أصحاب مدرسة وحدة الوجود ، والحلولية ، وأضرابهم ، وحديث واضح عن الفروق العظيمة بين الخالق والمخلوق ، وبيان أن هذا من أعظم خصائص عقيدة التوحيد ، كما بينها الإسلام . فلا مجال مع هذا لأن يحمل أحدٌ الفيض الأدبي الذي سطره سيد في تفسير سورة الإخلاص على تلك المعاني المرذولة ، التي كان هو ـ رحمه الله ـ من أبلغ من رد عليها ، وفند شبهاتها .

وأذكر من باب الإنصاف أن أخانا الشيخ عبد الله بن محمد الدويش ـ رحمه الله تعالى ـ لما أشار عليه بعضهم بتعقب الظلال ، واستخراج ما وقع فيه ، فكتب مسوّدة كتابه (المورد العذب الزلال) ورد على ذلك الموضع في سورة الإخلاص ، فبلغني أنه فهم منه تقرير مذهب وحدة الوجود ، فبعثت إليه مع بعض جيرانه بالموضوع المتعلق بذلك من كتاب «الخصائص» والذي هو بيان جلي للمسألة لا لبس فيه ، فكان من إنصافه رحمه الله ، أن أثبت ذلك في كتابه ، ونقل عن «الخصائص» ما يرفع اللبس .

علماً بأن الحريَّ بالباحث إجمالاً أن يفهم كلام الشيخ أو العالم بحسب ما تقتضيه نصوصه الأخرى فيرد بعضها إلى بعض ، ويفسر بعضها ببعض ، ولا يتمسّك بكلمة يضع لها أقواساً ، ثم يعقد لها محكمة ! وقد يخطئ المرء في اللفظ وهو يريد معنى صحيحاً ، كما وقع للذي قال : اللَّهم أنت عبدي وأنا ربّك ، يريد : أنت ربي وأنا عبدك ، وما كفر بذلك ولا أثم ، بل لعله كان مأجوراً مثاباً ! .

ومن المعلوم المستفيض أن سيداً رحمه الله مرّ في فكره وحياته بمراحل مختلفة ، وكتب في أول حياته مجموعة كتب أدبية ، مثل : «كتب وشخصيات» ، «مهمة الشاعر في الحياة» ، «طفل من القرية» ، ومجموعة من الدواوين الشعرية . وكتب مجموعة من الكتب الإسلامية مثل : «التصوير الفني في القرآن» ، «مشاهد القيامة في القرآن» ، «العدالة الاجتماعية في الإسلام» .

ثم في مرحلة النضج كتب «الخصائص» ، «المعالم» ، «الظلال» ، «هذا الدين» ، «المستقبل لهذا الدين» ، «الإسلام ومشكلات الحضارة» ، وربما كتباً أخرى نسيتها .

ومع ذلك ؛ كان يتعاهد كتبه بالتصحيح والمراجعة والتعديل - كما هو ظاهر في «الظلال» خاصة - حيث كان يُعمل فيه قلمه بين طبعة وأخرى ، وهذا دأب المخلصين المتجردين .

وليعلم الأخ الكريم الناصح لنفسه أن الوقيعة في آحاد الناس ، فضلاً عن خاصتهم من أهل العلم والإصلاح والدعوة ، من شر ما يحتقب المرء لنفسه ، ولا يغتر المرء بمن يفعل ذلك ، كائناً من كان ؛ لأن الحساب في القيامة بالمفرد لا بالقائمة .

١٤٢١/٦/٢٢ هـ

كلمة الشيخ محمد حسان

ما رأيكم في مقالات الشهيد ـ بإذن الله ـ سيد قطب لماذا أعدموني؟

الجواب : . . . نسأل الله ـ عز وجل ـ أن يجعل الشيخ سيد قطب ـ رحمه الله ـ عنده من الشهداء فهو الرجل الذي قدّم دمه وفكره وعقله لدين الله ـ عز وجل ـ نسأل الله أن يتجاوز عنه بمنه وكرمه ، وأن يغفر لنا وله وأن يتقبل منا ومنه صالح الأعمال .

وأنا أُشهد الله أني أحب هذا الرجل في الله مع علمي يقيناً أن له أخطاء . وأنا أقول : لو عاملتم ـ يا شباب ـ شيوخَ أهل الأرض بما تريدون أن تعاملوا به الشيخ سيد قطب فلن تجدوا لكم شيخاً على ظهر الأرض لتتلقوا العلم على يديه ؛ لأن زمن العصمة قد انتهى بموت المعصوم محمد بن عبدالله ، وكل كتاب بعد القرآن معرض للخلل ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ .

لذا فأنا أحب هذا الرجل مع علمي ببعض أخطائه ، وأقول : ومَن مِن البشر لم يخطئ؟ «فكل بني آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون» .

وأذكر يوم أنْ كنتُ أدرِّس طلابَ كلية الشريعة في جامعة الإمام محمد بن سعود في القصيم ، ويوماً استشهدت بفقرة للشيخ سيد قطب ـ رحمه الله ـ فردّ عليّ طالب من طلابنا ، فقال : يا شيخ !

قلت : نعم .

قال : أراك تُكثر الاستشهاد بأقوال سيد قطب .

---

(١) شريط مسجَّل نُشر على الإنترنت في (الموقع الذهبي للإسلام) .

قطب ضال مضل» ، هذا ظلم ، ظلم ، ظلم بشع ، وبعدها كاد قلبي يخرج من صدري وأنا أقرأ في الفهارس لهذا الكتاب عنواناً جانبياً خطيراً جداً جداً في الفهرس يقول : «سيد قطب يدعو إلى شرك الحاكمية» ، قلت : هذا الرجل لم يُعدَم إلا من أجل قضية الحاكمية ؛ فهذا ظلم ، يعني مجرد العنوان نفسه ظلم ، قمة في الظلم . .

رجلٌ زلَّ في مبحث الأسماء والصفات ، نعم زلَّ ، زلَّ سيد قطب في مبحث الأسماء والصفات ، وزلَّ غيره من أئمتنا الكبار كالنووي ـ رحمه الله ـ ، والحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ ، والزركشي ، وابن الأثير زلَّ في مبحث الأسماء والصفات . فهل نكفِّرهم ونضلّلهم ونفسّقهم ونبدّعهم؟!! هذا منهج منحرف . .» .

قلت : وهل تنقم عليّ في ذلك؟

قال : نعم .

قلت : ولِمَ؟

قال : لأنه كان فاسقاً .

قلت : ولِمَ؟

قال : لقد كان حليقاً .

فقلت : يا أخي ، إن الإسلام في حاجة إلى شعور حي لا إلى شعر بغير شعور ، مع أنني ما كنت ولن أكون أبداً ممن يقللون من قدر اللحية ، بل أنا الذي أقول : إن إعفاء اللحية واجب لأن الأمر في السنة للوجوب ما لم تأتِ قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب «اعفوا اللحى» «وفروا» «ارخوا» ؛ الأمر للوجوب إذا لم تأت قرينة تصرف الأمر من الوجوب إلى الندب ، لكن أقول : لا ينبغي أن نَزِنَ رجلاً بهذه القسمة الضيزى .

وأسعد قلبي سعادةً غامرة أخٌ حبيب من إخواني الدعاة الكبار ، وقال لي : بأن عنده صورة للشيخ سيد قطب وهو بلحية كثة ولكنه حلقها مع هذا البلاء الذي صُبّ على رأسه في السجن والمعتقل ، فلا ينبغي على الإطلاق أن نزن الناس والمناهج بهذا الظلم . .

رجل زلّ ، أخطأ في «الظلال» أو في بعض كتبه ، لا ننكر ذلك ، لكن لا ينبغي الإطلاق ، بأن ننسف جهد الرجل ، وأن نتهمه ـ والعياذ بالله ـ بالضلال ، لن أسمي كتاباً الآن ، لكن هناك كتب تزيد عن المائتي صفحة تنقد سيد قطب ، وهذا أمر عادي جداً ليس فيه أي حرج ، لكن الكاتب لم يترحَّم على سيد قطب مرة واحدة ، ثم قال بالحرف : «سيد

فهرس الموضوعات

كلمة حق

للمحدث الألباني في الأستاذ سيد قطب

دون المعالي تكثر المهالك، وتعسر على طالبيها المسالك، تقاصر عن تسورها الصغار، وتعلو متنها همم الكبار، ولكنهم لا يسلمون من أسنة الحاقدين، ولا من سهام الطاعنين، وهذا شأنهم؛ فإن للمعالي ثمناً باهظاً.

ومن بين هؤلاء الكبار من له من اسمه وافر النصيب، فهو في مكانته سيد، وفي علمه وأدبه قطب.

والله يدافع عن الذين آمنوا بأن يهيئ من أصحاب الأقلام، وأئمة الزمان - على اختلافهم مع الأستاذ سيد قطب في الطريقة والمنهج - من يذب عنه وينافح دونه، وما ذلك إلا لأنهم يقاربون التقوى، وينصاعون لأمر الله: (اعدلوا هو أقرب للتقوى)، (إن الله يأمركم بالعدل والإحسان).

وكان من بين هؤلاء الأئمة العدول الذين أنصفوا الأستاذ الشهيد: إمام هذا الزمان في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، إذ قال في الشهيد مقالة الحق الأبلج، فترك بها الباطل يتلجلج، وأهله يموج بعضهم في بعض..

هذا ما يجده القارئ في هذا الكتاب القيِّم.

د. أحمد المناعي
جامعة البلقاء التطبيقية

مكتبة البراق

bonydnm@yahoo.com

تصميم دار الفن
Tel. 5658787